

# مقالات النديم

ية وطنية عمرانية تاريخية فلسفية جمعها (بن منتصر)

من كلام ذلك الرجل الغني بشهرته عن التعريف والتعريب

من احيي صوت الحرية وقاتل التعسف والاستبداد فقيد

البلاغة والوطن العلامة المرحوم الشيخ

# عبد الله نديم

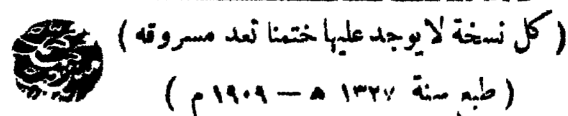
أمد الله على قبره غيث الرحمة والرضوان

(طبعه أولى)



محمد بن محمد منتصر

(من طلبة العلوم العربية بمصر)





(طبع سنة ١٣٢٧ هـ — ١٩٠٩ م)

٥

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يامن جعلت في كل عصر رجالا داعين الى طريق السداد. ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الذي هدانا الى سبيل الرشاد. وعلى آله وأصحابه. الذين جاهدوا في الله حق جهاده ﴿ وبعد ﴾ فاني عثرت على أوراق كان يحفظها حضرة والدي من مجلة الاستاذ التي كان يحررها ذلك الرجل العظيم الذي أحيي في بلادنا سنة الجهاد في سبيل الدفاع عن الحقوق الوطنية وأرهب جيوش الملحدين بما غرسه في قلوب اخوانه من الاخلاص لولي نعمتهم ولأبناء جلدتهم وعلمنا معنى الحرية والاستقلال والحياة وأرشدنا الى مافيه خير بلادنا ونفع أنفسنا ومهد لنا طرق المناضلة عن حقوقنا وسبل الوصول الى استرجاع ما سلب منا. أول مناد في مصر بالحياة الدستورية وداع الى طلب الاستقلال رب البلاغة ومصباح الأدب وشمس المعارف وبحر العلوم وينبوع الحكمة لمفكر

الصائب الخطيب البارع الكاتب الذي خضعت له المعاني وتسابقت للثم أنامله جياد الأقلام . الاستاذ الطائر الصيت العلامة فقيد الادب والوطنية والعمران المرحوم الشيخ ( عبد الله نديم ) فاحببت أن اجمع منها سفراً أحياء لذكره وقياماً بواجب الادب فقد طالما سمعت ممن عرفوه انه النابغة الذي لا يسمح الدهر بمثله والحكيم الذي أروى عقول النابغين من ينابيع حكمته وغذى افكار النبلاء من حياض فطنته . وقد رأيت في مقالاته ما يشهد له ببعد الفكرة وسمو الفطنة وسعة الاطلاع فجمعت منها عشر مقالات ( الأولى ) مفتتحة باستغرابه من الغرباء المسترزقين في بلادنا لدعواهم انهم هم القادرون على مدنية البلاد وانهم احق بادارتها واولى بتجارتها وان اهلها ليسوا اهلا للقيام باعمالها وندد على الجرائد التي تحول الحقائق وتموه بالشيء الحديث ان ماعليه مصر الآن من الحضارة والمدنية هو عمل الاجانب ورد اقوالهم باسانيد قوية مشاهدة اثبت ان تلك المدنية هي اثار اعمال تلك العائلة المحمدية العلوية الشريفة ونتيجة اتعابهم واخذ يكشف الغطاء عما هو خاف على كثير من الناشيء الاخير فكم على كانت

عليه البلاد في عهد الصناجق من الهمجية والاضمحلال وما كانت عليه الحكومة من التعسف والظلم ونهب الاموال وازهاق الارواح البريئة وما جاء به نزيل الجنة المغفور له محمد علي باشا بعد تلك الظلمات الحالكة من انوار المدنية والعمران . ومشارق الحضارة والعرفان وما قام به من الاعمال النافعة والمشروعات الجليلة والتنظيمات الادارية وترتيب الدواوين والمصالح والاقلام وتدوين القوانين وعمل الاستحكامات في الثغور والحصون والقلاع وترتيب البريد والاشارات التلغرافية واصلاح الزراعة وما يلزمها من الترع والمصارف والجسور والقناطر وسد المقاطع والتشغيلات الترابية التي تربو عن الالفين مليون من المتر المكعب وما استحدثه في البلاد من الزراعة وما استحضره من الاجانب لتعليم الاهالي ما جهلوه وما انشأه من الفبريكات التي كانت تنوف عن الثلاثين فابريقه لعمل الحديد واستخراج البارود وعمل المدافع والاسلحة ونسج القطن والكتان وقطيفة الجوخ والحرير والشاهي والقطنى والالاجه والاطلس والمشجر والدبلان والشاش وغير ذلك من الصنائع التي لو

كانت استدامت ونمت بنمو العمران لكانت بلادنا اليوم اعظم من امريكا وغيرها من الممالك الحية واستطرد الكلام بذكر اسماء بعض الرجال الذين رأسوا تلك المصالح وقاموا بخدمتها حق القيام

ثم استأنف الكلام الى عدد آخر فافتتحه بما كانت عليه رؤساء الهيئة الاجتماعية الاسلامية في بدء أمرهم من التبصر والعناية بمعرفة مايقدم الامة وينشر فيها المدنية والعمران وما وصلت اليه من امتداد سلطتها وانتشار معارفها وآدابها التي ملأت الدنيا شرقا وغربا وما قام به الخلفاء الكرام من تشييد المدارس وفتح أبواب التعليم وتمزيق ثياب الجهالة وتزيين الدنيا بالآداب الاسلامية والاخلاق المحمدية وما آل اليه ذلك التقدم بعد فتنة التتار والحروب الصليبية من التقهقر . وانتقاله الى اوروبا وما قامت به الدولة العثمانية من العناية في اضائة ذلك النور الذي تعكر ضوءه ففتحت المدارس وحشدتها بالوف المتعلمين حتى تخرج منها رجال قادرون على الاعمال . وما كان عليه ذلك الشهم العالي الهمة المغفور له محمد علي باشا عند توليته مصر من العناية بنشر التربية والتعليم

وتهذيب الناشئين وترشيحهم للاعمال وما انشأه من المدارس
والكتاتيب في البنادر والقرى وما كان يصرف عليها
وعدد طلابها من المعلمين والتلاميذ وما تحمله من المشاق في
سبيل التعليم وما كان يصرفه على التلاميذ التي أرسلها الى
أوروبا وعددهم وتواريخ افتتاح المدارس التي افتتحها ثم اخذ
الاستاذ رحمه الله تعالى يستعظم هذه الاعمال في تلك الايام
الخالية من المعارف المكتنفة بالعقبات والصعوبات وقلة
المال والرجال وأظهر ابتهاجه باعمال ذلك المؤسس لعظيم
وأنشده شعرا يشعر بطهارة وجدانه وصدق محبته و خلاصه
لذلك اشهم وأبنائه الكرام . وختم كلامه بما قام به من
بعده ابنائه الكرام من الاصلاح والعمران

﴿ والثانية ﴾ افتتحها بما تبثه المعارف في كل أمة من
لحضارة والعمران وفكر فيما يشاهد من نحطاط الدول التي
غاصت بحار العلوم وكشف الغطاء عن سر ذلك وانه نتيجة
البغضاء التي تحتدم بين أبناء الامة . ونصح أبناء الشرق
عموما وأبناء مصر خصوصا باتخاذ الحزم وتأييده وانيق الوفاق
حتى يستردوا ماسلبته منهم يد الخطوب ويسترجعو مدنيتهم

واطال العجب من انحطاطنا وعدم محافظتنا على مجد آبائنا الذين سادوا بين معاصريهم والفوا المؤلفات المديدة واخترعوا المخترعات المفيدة وحث على الاعتصام بحبل المؤاخاة والتمسك باذيال الحمية الوطنية وندد على الاغرار الذين خدعتهم الشهوات وصرفوا ثمين أوقاتهم في ارتكاب الرزائل وجسيم أموالهم في الميسر وشرب الخمور حتى مدوا يد الاحتياج الى البنوك وما آلت اليه عاقبة ذلك وحذر وأنذر ونصح وارشد وختمها بالحث على اتباع اقوال الحكماء المرشدين والاخلاص في محبة ولي نعمتنا . والتباعد عن ذوي الاغراض الملحدين

﴿ والثالثة ﴾ فتحها بالحث على عقد خنصر الوطني على محبة وطنه وأميره وسلطانه وحذر من خداع الاجانب واستقبح ايذ النبهاء بعتابهم ووقوف الاغبياء بأبوابهم وبين وجه احتيالهم وتغريرهم وما كانت عليه الانكليز وقت دخولهم الهند من التغرير بانها مادخلت الا لوضع حكومة نظامية وتشكيل هيئة مدنية وهي الى الآن تدعي هذه الدعوة مع انها ما وضعت لا الغلائل في رقاب الهند وبين ما هم عليه من الحالة التي تقشعر منها الجلود وتذوب من بشاعتها الاكباد

وان هذا ديدن الانكليز فى كل بلاد دخلوها وما هم عليه من الخداع الذي يوصلهم الى غاياتهم الاستبدادية ومايدعونه على المسلمين والجرائد الاسلامية من التعصب وما يفترونه على المصريين من الأكاذيب التى يهيجون بها اوروبا ضدهم وانهم لا يتألمون الا من مطالبة المسلمين بحقوقهم وختمها بالحث على هجر ابواب الاجانب مع المحافظة على حقوقهم بما تقتضيه آدابنا من الحكمة والسداد

﴿ والرابعة ﴾ بحث فيها مباحث فلسفية عمارانية سياسيه تدل على سعة اطلاعه وقوة اقتداره وبعد أفكاره فقد بين ماعليه الناس من اختلاف أجناسهم وتباين أذواقهم ولغاتهم وعاداتهم وتجاذب كل جنس الى جنسيته ومايعترى كل امة من الفساد والكساد بسبب سريان دم الدخيل فى شريانها وما حصل من اختلاط الاجناس من عهد انتشار الاسلام وما جاء به من روابط الألفة بين الامم المتنائية وما عليه المسلمون والاقباط في مصر من الألفة والاتحاد بجاذبة الوطنية وماهم عليه من التعلق بعرش أميرهم وتفانيهم في حب استقلاله وتعزيز كلمته لما رأوه من جنابه من المحافظة على عز

جنسيتهم والحرص على خصائص وطنيتهم . وقد أجاد الاستاذ رحمه الله في هذه المقالة وأزاح النقاب عن سر غامض في هذا الموضوع له دخل عظيم في الامور السياسية والاحوال الاجتماعية

﴿ والخامسة ﴾ نصحنا فيها بالتمسك بعرى الوطنية والاقتداء بآداب آبائنا وأجدادنا وحذرمن الاقتداء بالاجانب والاغترار بزخاريفهم وبهتانهم وخداعهم وضرب لنا مثلا حسنا وبين ماعليه الغربيون من حزم آرائهم واعتمادهم على أنفسهم وعدم تضارب أفكارهم واختلاف أحزابهم حتى بهذا نجحت أعمالهم وقويت شوكتهم ونفذت سلطتهم وتخطت سطوتهم الى غير أوطانهم فتحا واستعمارا بقوتي العلم والعمل وعزيمتي الامة والحكومة وتوحيد وجهة الفريقين . وتأسف على مانحن عليه من الكسل والقعود والتهاون وعدم اقتدائنا بهؤلاء في مثل هذه المواطن ورد على من يدعو ان الشرقيين أقل عقلا من الغربيين وأبطل دعواهم وبين ان ما عليه الشرقيون من التأخير انما هو لقصور تعلمهم لا عقولهم وما عليه الغربيون من التقدم انما هو لسعة تعلمهم لا لزيادة

جوهرية في عقولهم وبين للشرقيين كيف يسلكون طريق الاصلاح والسعي خلف تقدم الامة وتشييد دعائم ملكها حتى تعظم قوتها وتنموا ثروتها وتلبس ثوب الحضارة والمدنيه

﴿ والسادسة ﴾ بين فيها دواعي الحروب التى تنتشب بين العالم وكيفيتها في العصور الخالية وما وصلت اليه بقوة الاختراع في هذا العصر وما أعدمته من الخلائق وخربته من البلاد وما اخترعته الدول الآن من التمويه والايهام الموقع في الارتباك والاضطراب وما اختلقته الكتاب والجرائد من الارهاب والتخويف الذى حير الافكار وهدد المستضعفين وما عليه الدول من المطامع والاماني الكاذبة وما هي عليه من تكثير الجند وأعداد العدد مما يعود على ماليتها بالافلاس وعلى رجالها بالملل والسآمة وسيأتي يوم فيه يعطى كل ذى حق حقه وبهذا استحسن ما عليه الشرق من السكينة تلقاء تلك الاوهام الواهية وان ضغط أوروبا على أفكار الشرقيين فاتحة خير لهم فقد أيقظهم للمحافظة على حقوقهم و سترجاع ما سلبته منهم يد المستبدين وان ما عليه الشرق اليوم من الحركة الفكرية لابد أن يوصله يوما مالى

ساحة الخلاص من ذل الاستعباد وندد على الكتاب الذين يغمسون أقلامهم في نعمة الشرقيين ليكتبوا بها ما يوغر صدور الغربيين ويخيل لهم ان الشرقي بريم لا يصلح للملك ولا يليق الا للاستعباد وحذر اخوانه من شر هؤلاء المضلين وأن يقرأوا العواقب وينظروا المستقبل بعين البصيرة وان يلزموا الهدو والسكينة حتى يظهروا لأوروبا ما هم عليه من الآداب والمدنيه

﴿ والسابعة ﴾ تكلم فيها عما لحق الشرق بسبب اختلاط الاوربيين من فساد الاخلاق وتمزيق الاعراض وارتكاب القبائح والتبختر في ثياب المنكرات . بعد ان كان كعبة الآداب ومحط رحال العفة والشرف وأطال في ذلك

﴿ والثامنة ﴾ تكلم فيها على ما يرتكبه أرباب الطرق من الأمور التي تخالف آداب الشريعة السامية وتدع الاجنبي يهزأ بديننا ويقبح أعمالنا لظنه ان ما يجريه هؤلاء الجهلة شيء من أحوال ديننا ونقل عن بعض الانكليز ما كتبه من السخرية بنا مما رآه في بعض الموالد من أعمال هؤلاء الاغبياء وحث على اتباع آداب الطريق الصحيحة والتمسك بالآداب

الحكمة وطهارة القلب والاخلاص في العمل والزهد والعفة والورع وجميع الاصول الشريفة . والبعد عن الرذائل وانتحال القواعد الفاسدة والبدع المشوهة لوجه الشريعة السمحاء . وأطال فى ذلك

﴿ والتاسعة ﴾ جاء فيها بشيء من محاسن مولانا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين السلطان الاعظم عبد الحميد خان المؤيد بعناية الله تعالى وما آلت اليه دولته في عهده المبارك من التقدم وما تعلقت به ارادته من تعميم العلم في بلاده وفتح المدارس وجعل التعليم اجباريا وما اتخذه من الوسائل فى تعميم المعارف توصلا لسعادة أمته وأطال في ذلك

﴿ والعاشرة ﴾ تكلم فيها عما ينتحله المرجفون واصحاب الجرائد فى مصر من الاكاذيب والتعدى على الشخصيات وما افتروه عليه رحمه الله من ان الحكومة السنية تعمل فى ابعاده عن بلاده وطرده عن أوطانه وماهو عليه تلقاء تلك الحركة من قوة العزيمة والثبات وأورد قصيدة فى هذا المعنى أبدع فيها وأجاد

ولما كان هذا بعض ماجاء فى هذه المقالات فقد جاءت بحمد الله كتابا من أنفس الكتب التي تدخر فى خزائن

الملوك ولي أمل أن ينال الحظ الاوفر من عناية حضرات الادباء وأن يقابلوه بالبشر ويستهلوه بالرضى قياما باحياء ذكرى ذلك الشهم الذي ضحى حياته فى خدمة وطنه وبلاده ومصادرة أعدائهم بسهم قاطع ولسان صادع حتى استشهد غارقا فى بحار الجهاد فعلى ثراه غيث الرحمة وعلى جدثه مناهل الرضوان

ابن منتصر



# المقالة الاولى

## (حالنا امس واليوم)

« أو نتيجة اتعاب المرحوم محمد علي باشا وأبنائه ورجاله »

أكبر عجائب مصر ان كل وارد عليها وكل مسترزق فيها من الغرباء يدعي انه أقدر على مدنيتها وأحق بادارتها وأولى بتجارتها . وأول كلمة يجيء بها المصريين لستم أهلا للقيام باعمالكم ولا تدرون طرق الاصلاح وأحكام النظام وهي كلمة أقلقت كل مصري ونبهت كل مولود في عاصمة العلوم والسياسات الأولى فاذا أخذ المجموع المصري يتذاكر فيما كان عليه بالامس وما صار اليه اليوم . وقد تلوّنت عليه طرق الافكار بتلوي صحف الاخبار وتلونها ومباينة الاخبار للحقائق مباينة لا ينطبق شيء منها على صور الواقعيات . وقد التزمت جرائد الأجراء تحويل الافكار بما تنسبه لغير المصريين من الاعمال وما تدعيه من الاصلاح وفي الناس من أدرك القرن الماضي ورأى ما كان فيه من الاعمال وعرف

من قام بها من الرجال . وفيهم الشبان الذين نشأوا أخيراً ولم يروا الا الحال الحاضرة وقد حيل بينهم وبين تاريخ الماضين بتعاليمهم الاجنبية وأصوات الجرائد الاجيرة فربما ظن ناشيء المصريين ان ماعليه مصر الآن من تدوين الدواوين وتنظيم الادارات ونشر المعارف والصنائع وترتيب المديريات والاقسام وعمل الترع والقناطر والجسور وترتيب المجالس انما هو عمل أجنبي وهو ظن فاسد لا دليل عليه فان مدنية مصر تنادي بانها أثر من آثار العائلة المحمدية العلوية وقد وضع أساسه على ايدي الوطنيين في ايام سهر لياليها المرحوم محمد علي باشا متقلباً من جنب لجنب يفكر ويقدر ويدبر حتى كاد ان لا يتنفس نفسا الا وهو مصحوب بفكر في شأن من شؤون مصر . وتقدم لنا كتابة فصل مجمل في مقالة افتتاحية في العدد الثاني من جريدتنا والآن نريد ان نأتي على اعمال هذه العائلة عملاً عملاً بالتفصيل والبيان قياما بواجب نعمتها علينا معشر المصريين وتطهيراً لافكار الشبان من اقذار الأكاذيب والمفتريات التي سلبت نسبة تنظيم البلاد عن هذه العائلة الكريمة والوطنيين والحقتها بالاجنبي زوراً وبهتانا ونرشد الآتي الى

معرفة فضل ساداته ومجد آبائه حتى لا يقع فيما وقع فيه بعض
الشبان من الاغترار بزخرف قول الكتاب واختلاق الغرباء
ومفتريات الأجراء واذا بينا ماهيات الاعمال والقائمين
بتأسيسها سهل على القاريء مقابلة الحقائق الثابتة المشاهدة
بالاقوال الكاذبة المصوغة في قالب النصح والارشاد وأيقن
المصريون ان ماهم فيه انما هو نتيجة اتعاب امرائهم وآبائهم
فلا تمنعهم مزاحمة الاجنبي من السعي خلف استرجاع مافات
بالجد والعمل وعقد العزائم على حفظ هذه الآثار باتفاق
طوائفهم واجناسهم على توحيد السير والسهر فى تدارك خطأ
المخطئين من ضعفائهم والظهور بين ايدى اوروبا بالاخلاص
في العمل والمحافظة على علائقها معنا وتزييف اقوال الأجراء
بتحسين ما يسلم اليهم من الادارات وما يناط بهم من الاعمال
خصوصا وهم بين يدي المولى العباس الغيور على مصالحهم
وتقدمهم الساعي في اعادة ماكان لآبائه من السير وسيرة
انقاذاً لبلاده من يد الخلل وحفظا لها من الضعف والتلاشى
وامير مثل هذا حقيق بان تؤيد الامة مساعيه بالجد خلف
آماله وتحقيق افواله بالحزم والعزم لا بالتهور والطيش والتقاعد

عن موجبات المجد والشرف ومن هنا نبدأ الكلام فنقول

معلوم ان السلطنة السنية كانت ترسل الوالى في العهد الاول الى مصر فيقيم السنة والسنتين ثم يعزل ويأتي غيره وكانت وظيفته في مصر صورية فان القابضين على الاحكام هم الصناجق وكانوا اربعة وعشرين صنجقا يرأسهم اثنان منهم والبلاد واهلها تحت تصرفهم وكان يعين مع الوالي مأمور يسمى الدفتردار عليه ختم التقاسيط والسندات والاوراق التي تعطى من الحكومة لأهل البلاد والاموال كانت ترد الى الروزنامة والروزنامجي هو الآمر الناهي في المصروفات وهناك ديوان يقال له ديوان الترسانة والقضاة كانوا يلتزمون البلاد من ملتزم القضاء الاصلى فيحكمون بما يساعدهم على نهب الاموال ويأخذون من الرشوة والرسوم مالا حد له والنيل يأتي سيحا فيعتكف الناس فى القرى والبلاد حتى ينصرف عن الارض فينزلون اليها ويزرعونها والمواصلات التجارية منقطعة بين مصر وغيرها والمعارف فى طي العدم ولا مدرسة غير الازهر المنير والامية متسلطنة على الامة والنقود قليلة وغالب التعامل بالحبوب والاسمان والالبان

والصنعة لاتزيد عن غزل القطن والكتان ونسجه ثيابا والاخبار الدولية منقطعة انقطاعا كلياً فلا علم لمصري بما في البلاد المجاورة له فضلاً عن مملكة اخرى . والاوامر تصدر من الصناجق بحسب مايرونه . أعرف منها ان بلدا كانت تدفع ثمانين ريالا فطلب شيخها من حلاقها عشرين فضة فتوجه الى الصنجق بمصر وقال له ان بلدنا يمكنها أن تدفع مائة ريال فأرسل معه جماعة من الارنؤوط فحاطوا بالبلد وطلبوا من مشايخها مائة ريال فأظهروا عدم قدرتهم فأمرهم الحلاق أن يهجموا بيوت البلد ففعلوا وجمعوا مافيها من الحلي والنقود فبلغ مائة وأربعين ريالا فكتبوا للصنجق فصدر امره بجمع أربعين رجلا من سن الثلاثين الى الاربعين وشنق عشرين منهم وذبح عشرين ففعلوا فهذه مادة من مواد قانون الهمجية والجهالة . وربما قام الصناجق على الوالي فقتلوه . وكثيرا ما كانوا يسلطون الجند على العاصمة لنهبها اذا طلبوا أرزاقهم ولم يجدوا ما يعطونه لهم وكان معظم الاطيان خاليا من الزراعة لكون الفلاح لا يزرع الا مقدار حاجته ولتسلط الصناجق على الفلاحين بنهب زروعهم سنة الخصب . فلما جاء المرحوم

محمد علي باشا ورأى ان الحروب التي وقعت بمصر بين أهلها والافرنج وبين الغز والولاة وبينهم وبينه والحروب التي وقعت في مورة والسودان والحجاز واليمن والشام قد أذهبت ثروة البلاد وعطلت المزارع وأوقفت المصانع وخربت القرى فهاجر كثير من أهلها الى الحجاز والمغرب والشام والعراق والاناضول واصبح كثير منها لا ساكن فيه وفسدت الاراضي بعدم الخدمة وتركها للحشائش المحمولة اليها مع مياه النيل وصارت مصر في حالة يأس من الاصلاح فجمع اليه كثيرا من الترك والشركس والارناؤوط والموزالية وفريقا من العرب والمصريين على اختلاف أديانهم وصير المجموع امة واحدة مصرية وقرب المدربين على الاعمال اليه وشاورهم في أموره وفوض اليهم تدبير الاعمال رغبة في وصولهم الى تنظيم البلاد واصلاحها وبمبادلة الافكار معهم واستمداده من ارائهم تمكن من ضبط السياسة وترتيب الاعمال الجليلة وجمع كلمة الاهلين على الاعتماد عليه والرجوع في أمورهم اليه فتحولت حال البلاد الى حال تتقدم للنجاح من الحسن الى الاحسن والنافع الى الانفع واول ما بدأ به من العمل انه

قسم البلاد ثلاثة اقاليم . الاول يمتد من وادي حلفا جنوبا الى مديرية المنيا شمالا وجعله تحت ادارة ولده ابراهيم باشا ورتب له اثنى عشر الف كيس سنوياً . والثاني من المنيا الى الجيزه ويتبعه الفيوم وجعله تحت ادارة احمد باشا طاهر ورتب له ثمانمائة كيس سنوياً ولما توجه ابراهيم باشا للحروب الحجازية احيل عليه القسم الاول فصار يحكم الوجه القبلي كله . والثالث البحري وقد قسم اربع مديريات الاولى تركب من الجيزة وجعلها تحت ادارة حسن بك الشهير بابي نيشانين ورتب له ثمانمائة كيس . والثانية الغربيـة وجعلها تحت ادارة حفيده عباس باشا الاول . والثالثة الدقهلية وجعلها تحت ادارة حسن افندي القوله لي ورتب له ثمانمائة كيس . والرابعـة الشرقية ووادي الطميلات وجعله تحت ادارة محمد بك كتخدا ابراهيم باشا يكن ثم ضم الشرقيـة الى الدقهلية وجعلهما تحت ادارة عبد الرحمن بك القبطي الاصـل وجعل ادارة شرقي اطفيح للقوجه احمـد وكانت مصر قبل هـذا التقسيم خمس عشرة مديرية ثم قسم المديريات أقساما وجعل لكل قسم مأموراً واثم بم ينقسم الى اخطاط كل خط له مأمور ومجموع الاخطاط

تحت ادارة ناظر القسم وهو تابع للمديرية . وجعل لكل بلد عمدة معه أشياخ مقررون بحسب ماتكون عليه القرية أو البلد . وجعل بكل قرية شاهداً « وهو المأذون الآن » لعقد الزواج والطلاق وفصل بعض القضايا ورتب في كل بلد خوليا لمسح الاطيان وضبطها وترك لكل بلد جانبا من الاطيان سماه المسموح وذلك لان كل بلد بها مضايف فجعل هذا المسموح لقرى الاضياف وترك ماله وفي سنة ١٢٢٨ رتب خزانةالاموال « المالية » وحول اليها ايرادات الحكومة وجعل الصرف للجهات منها ولم يبق للروزنامة الا فائدة الالتزامات ومرتبات العلماء والحجاز ومرتباب الاوقاف والجهات الخيرية . وفي سنة ١٢٣٣ رتب ديوان الاقاليم وجعله مرجع المساحة وتكليف الاطيان وتحصيل الاموال تحت رئاسة المعلم غالي القبطي فقام بتنظيمه وترتيبه أحسن قيام ومسح جميع الاطيان وقسمها حياضاً وغيطانا وحصرها في دفاتر وجعل لها مكلفات بيد صيارفة البلاد مما عز على ديوان التاريع أن يجاريه فيه . وفي سنة ١٢٣٦ جمع المديرين وكثيرا من الاعيان وربط اموال الاطيان الخراجية والعشورية

وجعل اكبر فئة فى ضربتها ثمانية عشر ريالا والريال تسعون فضه فأعظم ضريبة أربعون قرشاً ونصف قرش ثم رتب الدواوين فجعل ديوان المعاونة ملحقا بمعيته تحت رآسة سامي بك الذي ترقى الى باشا بعد ذلك ورتب له ثمانمائة كيس سنويا وجعل خصائصه النظر في كل ما يعرض من الدواوين والمديريات وسائر الجهات . وفي سنة ١٢٤٣ رتب الديوان الخديوي تحت رآسة محمد بك لاظ اوغلى ثم شريف باشا بعده ثم حبيب افندي وجعل راتب رئيسه ثلاثة آلاف وستمائة كيس وكان يعرض عليه جميع أشغال البلاد حتى ان القناصل يعرضون شؤونهم عليه فكان في رتبة ديواني الداخلية والخارجية بل والحقانية أيضا وهو الذي ينظر أشغال مدينة القاهرة بدل الضابطة والمحافظة والاوامر تصدر اليه من ديوان المعاونة وهو يخاطبه بكل شؤونه . وفي سنة ١٢٤١ انشأ ديوان اشغال المحروسة وأحال عليه مصلحة الجلود والمدابغ ووكائل الاصناف « الدخولية » ومصلحة ابن وجمرك بولاق وعوائد الغلال والبصمه خانة « معمل نشيت » والدوكمه خانة « معمل الحديد » واشون الغلال وديوان

المبيعات وديوان الفردة • ولما اتسع نطاق الحكومة وكثر
توارد الاجانب الى مصر للتجارة والاستيطان انشأ ديوان
الخارجية وجعله تحت ادارة بغوص بك وكان رئيسا للتجارة
قبل ذلك فصارت القناصل تعرض قضايا رعاياها على الخارجية
وهي تخابر ديوان المعاونة وبصدور الحكم تعلن به القناصل •
ثم أنشأ ديوان العسكرية وسماه ديوان الجهادية ورأس عليه
محمد بك لاظ اوغلي بعد فصله عن ديوان الكتخدا ثم عين
بدله محمود بك الارناؤوطي سنة ١٢٤٣ براتب ثلاثة آلاف
وستمائة كيس سنويا ثم رتب فيه مجلسا عسكريا لتسهيل
الاعمال ثم عين فيه احمد باشا يكن براتبه ولما سافر لحرب
الحجاز أقام له وكيلا عنه خورشيد بك الذي صار باشا بعد
حرب اليمن الملقب بيرمقسز وكانت المهندس خانه تابعة
لديوان الجهادية ايام كانت بقصر العيني وألحق به ايضا المدارس
الحربية وورشة المدافع وورش الاسلحة ومخازن الاسلحة
والبارودخانة ومعامل استخراج لبارود وورش عمل الجوخ
ومطبعة بولاق وقد عين لكل مصلحة من هذه ناظر
مخصوص يعرض جميع شؤون مصلحته الى ديو ن الجهادية

وفوض لرئيس هـذا الديوان ان يرقى الى وظيفة اليوزباشي ثم يعرض عمافوقها الديوان المعاونة ٠ وكان تسليح الاستحكامات والحصون وتنقلات العساكر داخل القطر وخارجه من خصائص الخديوي فهو يصدر الاوامر والديوان يباشر تنفيذها . وفي سنة ١٢٤٢ رتب الخزانة « المالية » تحت رآسة محمود افندي الشهير بناظر المبيعات ورتب له ثلاثة آلاف وستمائة كيس سنويا والحق بها مدرسة الدرسخانة التي كان يعلم فيها اللغة التركية والترجمة منها الى العربية ومن العربية اليها ثم تعين لها سامي باشا المورهلي وكان رئيسها مسؤلا عن جميع شؤون الايرادات والمصروفات وتحت ادارته صيارفة البلاد والمرتبات وبيت المال والضرب خانة وخزانة الامتعة والكيلار ومخبز الظاهر والمسالخ والمواشي والقوافل والمحمل والروزنامة والجنائن والاقطاعات « مصالح الالتزام » ومصالح بر الشام والحجاز والسودان وقاعة المبايعجي « التى كانت لشراء ما يلزم للديوان وبيع ما استغنى عنه » وفى كل ثلاثة شهور يقدم الحساب لديوان المعاونة وفي سنة ١٢٥٠ رتب مجلس الحقانية تحت رآسة حسن باشا المنستيرلي وكانت

خصائصه النظر فى شؤون جميع الدواوين وأعمال الزراعة وجمع المديرين لأخذ آرائهم في المهمات . وفي سنة ١٢٥١ رتب الجفالك وديوان الاوقاف وديوان الفابريقات وديوان تفتيش العموم والحقانية والخزانة العمومية وديوان أشغال المحروسة وديوان الترسانة وديوان الابنية وجعل رئيس الابنية المرحوم عباس باشا الاول . وفي سنة ١٢٥٢ رتب ديوان المدارس وجعل فيه أقلام الهندسة والحق به النظر في الاعمال البنائية واعمال الهندسة فى جميع انحاء القطر وجعله تحت رآسة مختار بك حال حضوره من فرنسا ثم جعله تحت رئاسة أدهم باشا . ثم رتب مشورة الطب تحت رآسة قلوت بك وجعلها مركبة من خمسة اعضاء مابين أطباء وجراحين واجزائية « صيدلانيه » ورتب اسبتاليات الآلايات وجعل لكل ألاى حكيم باشا تحته اربعة حكماء وصيدلاني فى زمن السلم وفى زمن الحرب يزاد حكيم وجراح لكل اورطة وكان الآلاى مركبا من أربعة الاف عسكرى وفتح فى كل من القاهرة واسكندرية اسبتالية « مستشفى » لمرضى الاهالي ورتب اطباء فى المديريات للنظر فى أمر الصحه ومهندسين

للنظر فى الرى والمبانى الاميرية والتنظيم وجعل فى كل مديرية باش مهندسا وفى كل قسم مهندسا وادارته تابعة لتفاتيش الهندسة ولكل تفتيش رئيس معه معاونون وكتبه ورسامون فكان مهندسو الاقسام يحررون جداول العمليات ويخبرون الباشمهندس وهو يجمع الجداول وينظر فيها وبعد تصديقه يعرضها للتفتيش وبعد اجرائه مايلزم من النقض والابرام يعرضها للديوان وهو يصدر أمره بما يتبع اجراؤه . ثم رتب المجالس ودون لها القوانين مشتملة على الاحكام والعقوبات واعتنى بالثغور فاكثر فيها من الاستحكامات العسكرية والحصون والقلاع وقشلاقات العساكر والمستشفيات والمخابز والطواحين . ثم رتب البريد « البوسطة » براً على ايدى السعادة وبحراً بالمراكب وسفن الخيل ورتب الاشارات فى جميع جهات مصر فكانت تأتيه الاخبار فى أقرب وقت . وكان اكبر همة السعي فى اصلاح الزراعة التي هى مصدر ثروة البلاد فكان لا يغفل عن المستخدمين المكلفين بأعمال الترع والجسور والقناطر ولا يهمل عقاب المهمل منهم والمسيء فى عمله وسيرته حتى امتلأت قلوبهم بالرهبة منه والرغبة في

القرب من مجلسه وبهذا هجموا على الاعمال هجوم من لا يحب الراحة ولا يميل الى التمتع باللذات النفسة فاتوا من الاعمال مالا ينكره العدو فضلاً عن الحبيب . وحيث ان رجال الوقت الحاضر المتشيعين للدولة الاجنبية المحتلة يطنبون في مصلحة الري ويعدونها من أحسن ما تمدح به وينسبون للعمال الاجانب من الاعمال مايوهم عدم اقتدار المصريين على مثلها او انهم هم المؤسسون لهذه المصلحة المصرية والشبان الذين لم يقرأو تاريخا والشيوخ الذين لا يبحثون فى اعمال الرجال طائرون حول اقوال المضلين متمدحون بالاجنبي الذى تطريه جرائد الأجراء لزمنا ان نوسع القول فى هذه المصلحة فنقول . أول ما بدا به المصريون سد مقطع بوقير الذى قطعه الاجانب ايام محاربتهم في مصر ليفصلوا ثغر اسكندرية عن الديار المصرية حتى يكون ملجاء لهم ومينا لمراكبهم وقت الحرب فغرق بهذا القطع مئات من بلاد مديرية البحيرة وهلك بسببه خلق كثير وفسد به الوف من الفدادين وتلك عادة الامم الاجنبية فى كل ارض دخلتها لا تبالى بازهاق النفوس وتخريب البيوت وتدمير البلاد فى طريق

وصولها الى مقصدها فهي ترى ان المقصد يبرر الوسيلة .
فاشتغل الخديوى بهذا السد حتى اتمه ودفع عن البلاد شراً كبيرا ثم انتقل الى سد الفرعونية الذى خلصت به الدقهلية والغربية من التشريق فان مياه بحر الشرق كانت تتحول الى البحر الغربي بواسطة الفرعونية وكان هذا السد يساوى سد بوقير فى الجسامة والعمل . ثم اعتنى بسد اشتوم الديبة واشتوم الجميل وغيرهما من الاشاتيم التي كان يدخل منها ماء البحر الملح عند شدة الانواء فتزيد مياه بحيرة المنزلة وتملأ الاراضي المجاورة لها وبهذا الفيضان خربت قرى كثيرة من الدقهلية فلما اتم السدود وامن الناس فيضان البحر الملح على قرارهم عادوا فسكنوها وعمرت البلاد . والعمل الذي يخرس كل متشدق بأعمال الاجنبي الان ويخلد للمرحوم محمد علي باشا ذكرا جميلا ومجدا لا يجاريه فيه مجار انشاؤه جسور النيل من شاطئيه ممتدة من اصوان الى رشيد من البحر الغربي والى دمياط من البحر الشرقي وقد بلغ مكعب تلك الجسور أربعين مليونا من المتر المكعب . وانشاء الترع والجسور فى داخلية المديريات البحرية والقبلية التى بلغ متوسط مكعباتها السنوية

خمسين مليونا من المتر المكعب وذلك غير تطهير الترع القديمة وردف جسورها وقد صرف رحمه الله تعالى في هذا العمل الشاق تسع عشرة سنة مبتدأة من سنة ١٢٢٩ وكان يشتغل في هذه الاعمال ثلاثمائة الف نفس . وكان الوجه البحري كالقبلي تنقسم أراضيه الى حياض واسعة تحيط بها جسور عظيمة فتمتلىء بماء النيل وقت فيضانه من ترع مخصوصة فاذا جاء وقت الزرع صرفوا المياه عنها بمصارف موصلة الى البحيرات فمديرية البحيرة كانت تصرف في بحيرة مريوط وبحيرة المعدية وبحيرة بوقير وبحيرة ادكو والغربية كانت تصرف في بحيرة البرلس والشرقية والدقهلية تصرفان في بحيرة المنزلة فكانت البلاد وقت الفيضان كأنها بحيرة واحدة وكان تزاور الناس وتجول التجار بالمراكب فاجتهد المرحوم في عمل ترع صيفية عند ما استحدث الزراعة الصيفية كالقطن والنيلج النيلة ) والافيون سنة ١٢٣٨ وكان قد أمر قبل ذلك بحفر الآبار وعمل السواقي ولما لم يجدها كافية حفر الترع الصيفية وكان يحصل للعمال تعب شديد فى تطهيرها لمصادفة زمن الشتاء وربما مات فى التطهير خلق كثير ولكن ذلك لم يثن همة

الخديوي عن الاستمرار والجد في هذا العمل العظيم المنفعة وقد بلغ مكعب هذه الترع مائة مليون من الامتار المكعبة وعشرة ملايين . وبلغ عدد الترع الامهات النيلية والصيفية في الوجه البحرى مائتين وأربعة وعشرين ترعة يبلغ طولها أربعة آلاف وستمائة كيلو متر وقد شغلت هذه الترع نحو خمسة وأربعين الف فدان ومكعب المجموع الصيني والنيلي من هذه الترع الف وثلثمائة وأربعة وأربعون مليونا من الامتار المكعبة . وهذا كله غير فروع هذه الترع وفروع الفروع والمساقي والترع الخصوصية وقد ضبطت فروع ترع مديرية البحيرة فوجدت ثلثمائة وثمانية فاذا قسنا عليها باقي المديريات البحرية قرب عددها من الفين وسبعمائة ترعة غير المساقي الداخلة في زمام النواحي . هذا في الوجه البحري أما القبلي فقد بلغ عدد ترعه الامهات المستعملة الى الآن ستة وسبعين ترعة طولها الفان ومائة واثنان وعشرون كيلو متر تشغل من الارض نحو خمسة عشر الف فدان ومكعبها ثلثمائة وثمانون مليونا من الامتار المكعبة . وعدد الجسور الكبيرة مائة وستة وعشرون جسرا طولها الفان وخمسة وأربعون

كيلو متر ومكعبها مائة وستون مليونا من الامتار تشغل قدر أرض الترع تقريبا وهذه غير الجسور الصغيرة الكثيرة العدد. فاذا جمعنا أعمال الاقاليم وجدنا الترع الامهات والجسور الاصلية تشغل نحو خمسة وسبعين الف فدان فاذ أضفنا لهذا القدر الفروع والسكك بلغ المشغول من الارض نحو مائة وسبعين الف فدان وذلك قدر ثلثي ما يشغله النيل في مجراه أيام الفيضان فان المقدر له مائتان وثلاثة وعشرون الف فدان تقريبا . واذا جعلنا هذه الترع والجسور خطا واحدا بلغ طولها ثمانية آلاف وسبعمائة وسبعة وسبعين كيلومتر ومكعب ذلك نحو الف وثمانمائة وأربعة وثمانين مليونا من الامتار المكعبة . فاذا قارنا بين الترع التي عملها محمد علي باشا وبين مجرى النيل من منبعه الى مصبه وجدناها قدره مرة وثلثين تقريبا فان طول النيل الف ومائتان وخمسة وسبعون فرسخا أي خمسة آلاف ومائة كيلو متر . ثم أخذ يذاكر رجاله والوافدين عليه من أوروبا فى طريقة تزداد بها الزراعة الصيفية وتأمن ترعها من اتلاف فقيل له ان نابليون بونابرت لما دخل مصر لم ير لتحسين الزراعة أنفع من بناء قنطرتين أحدهما على

بحر دمياط والثانية على بحر رشيد لحجز المياه زمن التحاريق
وتوزيعها على أراضي الوجه البحري بحسب احتياج كل
مديرية وعمل ثلاثة رياحات رياح لاراضي الشرقية والقليوبية
والدقهلية ورياح للمنوفية والغربيـة ورياح للبحيرة ومدينـة
اسكندريه فأعجبه هذا الرأى وأحضر لينان افندي الفرنساوي
الذي تسمى أخيرا بلينان باشا وكان على هندسة البلاد القبلية
وأصدر أمره الى سر عسكر باتخاذ الوسائط اللازمة لانجاز
هذا العمل سنة ٢٥٠ فعين مجلس من المهندسين والرجال النبهاء
لانتخاب المحل وقد رأي أغلبهم على عمـل القناطر بعيدا عن
النيل في رأس جزيرة البحرين وصـدر الامر باحضار الفعلة
وعين من كبار المأمورين من يباشرون وأحضرت المهمات
من أحجار وأخشاب وحمرة وجير وآلات وبينما هم في العمل
سعى بعض كبار الموظفين بلينان باشـا عند الخديوي وعابوا
عمله فبطل العمل ووزعت المهمات والادوات على البلاد سنة
٢٥٥ وتعين لينان باشا رئيسا على الاقلام الهندسة في ديوان
المدارس . ثم حضر بعد ذلك موزيل بك الفرنساوي لعمل
حوض المراكب بليمان اسكندرية فذا كره المرحوم في عمل

القناطر وأمره بعمل رسم لما يراه وبعد اتمامه الرسم أرسله به الى مجلس الهندسة بفرانسا سنة ١٢٥٦ وبعد اقرارهم عليه صار الشروع في العمل واستخدم فيه كثيرا من الافرنج مع الوطنيين واستمر عشر سنين ثم انتقل الخديوي الى دارالبقاء والرضوان سنة ١٢٦٦ وكان قد تولى الخديوية ابراهيم باشا ثم عباس باشا الاول وكانت الخزانة المالية خالية من النقود فصرف موزيل بك عن العمل وحيل اتمامه على مظهر باشا وقد بلغ مقدار ماصرف الى سنة وفاته سبعة وأربعين مليونا من الفرنك غير أهل البلاد الذين جمعوا لهذا العمل . وعند ماحفروا أرضية الفرش لوضع الاساس وضعاً محكماً أدركهم النيل وهجمت عليهم المياه فأمر موزيل بك برمي الدبش في الفرش ولهذا السبب حدث خلل في الفرش بسبب مرور المياه من بين الدبش . والذي حمل الخديوي على ذلك علمه ان فراعنة مصر ومن بعدهم من العجم والرومانيين والروم والعرب والشراكس كانوا يوزعون عمال الري على الاهالي فانهم شركاء الحكومة في الثروة ولا عبرة بتنديد بعض الاجانب على مرحوم في جمعه لاتمام عمارة الاعمال فان ذلك

تمويه على ضعفاء المصريين ولو كانت دولة اجنبية في محل محمد
علي باشا وأيامه لصنعت جسور البحر وقواعد القناطر من
الآدميين ولو كان عند محمد علي باشا من الثروة ما هو موجود
الآن لاراح الاهالي وصاغ بوابات القناطر من الذهب .
ولا يليق بالاجنبي أن يفتخر على محمد علي باشا بترك السخرة
وقد صير المصريين أرقاء فانما تلد النساء المصريات ليكبر الغلام
ويستحق الفرز فتبيعه الحكومة لابيه بخمسين جنيها أو مائة
وهذا عمل من أعمال الذين أسسوا جمعية منع الرقيق فكأنهم
جعلوا لها فرعا وهو استرقاق الاحرار ليكون العتق عاما لجميع
الافريقيين وماذا عليهم وقد وجدوا آذانا مصغية وطباعا
متحركة بريح الاوهام . وقد رتب المرحوم المهندسين في البلاد
بدل الحول [illegible] خوب ، فتمكن من [illegible] ديوان
الهندسة تقرير المكعبات اللازمة كل سنة [illegible] من
العمال وما يخص كل جهة وتعيين الوقت المناسب . [illegible]
جملة من شبان المصريين [illegible]
وأحضر منها بعض [illegible] وشجر
الفاكهة وتنظيم البساتين [illegible] للتجربة [illegible]

ينبروه وجعل مع الاوروبين جملة من شبان مصر ليتعلموا العلم والعمل وأحضر الآلات المستعملة فى أوروبا وكان كثيراً ما يزورهم ويحثهم على العمل والثبات فيه . ثم أحضر جماعة من سوريا لتربية دود القز وتعليم المصريين ثم أخذ فى استحضار حبوب وأشجار لتعودها على أرض مصر وهوائها فان البلاد كانت تزرع القمح والشعير والفول والعدس والحمص والترمس والجلبان والعصفر وفى الصيف الذرة الشامى والبلدي وبعض النواحي كانت تزرع الارز والكتان والقطن البلدي فلما أحضر القطن الهندي قلت زراعة البلدي حتى تلاشت . ثم أخذت التجارة فى الانتشار وحضر الكثير من الاوروبيين للاستيطان والتجارة مع المصريين وحصل ارتباط كلي بين الفريقين فوضع المرحوم قانون التجارة وعين له مجلسا مركبا من وطنيين وأجانب لفصل قضايا التجار فكان أول مجلس مختلط بمصر ثم استخدم كثيراً من الاوروبيين ما بين فرنساوي وطلياني وانكليزي فى كثير من أعمال المدارس والورش والمعامل والعسكرية لتعليم المصريين حتى تثقف كثير منهم واستغنى الحال عن معظم الاجانب اذ لم يبق منهم في

عهده الاخير الا نحو مائة من الاطباء والكيماوية والصيدلانية ( الاجزائيه ) وعشرين في العسكريه وخمسة وعشرين من المعلمين في المدارس والزراعة وثلثمائة في الورش ثم نبغ كثير من الوطنيين فاستغنى الحال عن الاجانب الا افرادا لا يتجاوزون الخمسين . وكان أول ورشة أنشأها ورشة خميس العدس بجهة الخرنفش وكان المعلمون فيها طليانيه وكانت تصنع القطيفه والحرير ثم جعلت الاقمشة القطنية والكتانية . ثم ورشة بولاق المعروفة بمالطه وورشة السبتيه وورشة ابراهيم أغا وهذه الثلاث كانت لعمل الاقمشه الرفيعه والغزل . ثم ورشة الغزل بقرب السيدة زينب رضي الله تعالى عنها وكانت محل بيت بهجت باشا الآن . ثم انشأ قيعان الحرير بمصر فنسج فيها الشاهي والقطني والالاجه والمشجر والاطلس وبلغ مقدار ما نسج من الحرير سنة ١٢٤٩ أربعة آلاف اقه ثم أنشأ عشر ورش بالوجه البحري في قليوب وشبين الكوم والمحلة الكبرى وزفتى وميت غمر والمنصوره ودمياط ودمنهور ورشيد وشربين وكلها للاقمشة ماعدا ورشة رشيد فكانت تصنع الغزل وقلوع المراكب . وانشأ في الوجه القبلي ثمان ورش

فى بنى سويف واسيوط والمنيا وفرشوط وطهطا وجرجا وقنا والواحات . وكان عدد دواليب الغزل ١٤٥٩ دولابا منها ٤٥ للغزل الغليظ والباقي للرفيع وكان مقدار الغزل الغليظ فى اليوم من أيام الصيف ١٤٥٠٠ رطل من القطن وفي أيام الشتا ١٠١٥٠ رطلا ومقدار الغزل الرفيع في اليوم الصيفي ١٣١٤٠ رطلا وفي يوم الشتاء ٨٥٤٠ رطلا . وكان عدد دواليب نسيج الاقمشة **١٢١٥** دولابا تنسج في يوم الصيف **٦٠٧٥** ذراعا بلديا وفي يوم الشتاء **٣٦٤٥** وكانت تصنع هذه الورش العمك الاسمر والبفته البيضاء والشاش الرفيع ويباع في مصر ويرسل منه الى الشام وايطاليا والمانيا . وأنشأ ورشة الجوخ ببولاق وأحضر لها معلمين من فرانسا فتخرج على أيديهم كثير من المصريين الذين استغنى بهم أخيراً ثم أرسل شبانا الى ورش الجوخ بفرانسا فتعلموا هناك أيضا وكان يبلغ تكاليف البسطاوية التي طولها سبعون ذراعا بلديا ٢٠٥ قرشا و٢٢ فضه فيكون قيمة الذراع ثمانية قروش وسبعة عشر فضه وكان يستعمله في لباس العساكر ولما رأى ان الصوف المصري لم ينجح في الجوخ جلب الصوف من تونس والشام ومقدونيا ولكنه

رآى كثرة المصروف في استحضاره فاستحضر أغناما من أوروبا تعرف بالميرنوس وجلب معها رعاة من الافرنج وضم اليهم رعاة من العرب وجعلها أولا في مديرية البحيرة وبعضها في الغربية وبعضها في المنصورة وفي سنة ١٢٤٩ بلغ الموجود منها ٧٠٠٠ وكانت ادارتها تابعة للمدارس تحت ملاحظة الموسيو هامو الفرنساوي ناظر المدرسة البيطرية ولما فشا الموت فيها خلطها باغنام مصرية ليحفظ الصوف بالتوليد من بعضها . ولما رخص بدخول تجارة أوروبا في البلاد ورآى الناس جودة مصنوعها وقلة ثمنه اعرضوا عن مصنوع البلاد ورغبوا في مصنوع الاجنبي فبطلت صناعة النسج شيئا فشيئا ولكن بقي الغزل مدة يحمل الى ايطاليا والمانيا وكانت تربح منه الحكومة مبالغ وافرة . وبمحافظته على الامن وقطع دابر قطاع الطريق واللصوص دخلت تجارة سواحل البحر الاحمر الى مصر وتوالى ورود القوافل من الصحارى الافريقية ودخلت تجارة البحر الابيض المتوسط من بلاد الترك والارمن وأوروبا حتى بلغ عدد الاجانب في مصر سنة ١٢٥٦ ، ٥٠٠٠ روي و ٢٠٠٠ طلياني و ٧٠٠ فرنساوي و ١٠٠ انكلي

و ١٠٠ نمساوي و ٢٠ موسكوبي و ٢٠ اسباني و ١٠٠ انكليزى و ٣٠٠٠ شامي مسيحي و ٢٠٠٠ أرمني وفي ذلك المستخدمون فى الحكومة وكانوا في سنة ١٢٣٧ ستة عشر بيتا.وكان مجموع الايراد سنة ١٢٣٧ (١١٢٥٠٠٠) جنيه مصري تقريباونمى الى أن صار فى سنة ١٢٤٩ (٢٥٢٥٢٧٥) جنيها وما زال ينمو بزيادة التحسين في الادارة والزراعة والتجارة حتى بلغ نحو ثلاثة ملايين في عهد المرحوم سعيد باشا ثم بلغ ٩٣٨٩٩٠٠ سنة ١٢٩٤ في عهد الخديوى اسماعيل باشا فهذه الاعمال هي أعمال محمد علي باشا أول قائم من العائلة الحاكمة الآن وما زاد عليها في أيام أبنائه انما هو تتميم وتكميل وسنتكلم على العسكرية البرية والبحريه والمدارس والماليه والصحه ودواوين الحكومة المحتجة لبيان ما كانت عليه من النظام وما اعتراها من الخلل في السنين الاخيرة وما نريد أن نذم الخواجه أو نقدح فى مستر ونعيب البارون أونقبح عمل اللورد فان ذلك بعيد عن مغزى المؤرخين الذين لا يهمهم الا ذكر الاعمال ويتركون التحسين والتقبيح للقراء ولا يتعرضون للشخصيات والمطاعن الذاتية . واذا قرأ أجير من

الاجراء هذا الملخص الموجز رآه لجاما في فمه فلا يعود لقوله ان المصريين غير قادرين على الاعمال وان مصر ليست قابلة للصناعة والانكليز نقلت البلاد من الهمجية الى المدنية ومن الجهالة الى العالمية . وجميع المصريين يعلمون انه وأمثاله لا يسعون معهم الا فى طريق الغش والخداع وقد وضح الصبح لذى عينين فلا يطلب أثر بعد عين ولا تمام بحث الهندسة نذكر جملة من المهندسين الذين خدموا المصلحة وهيأوها لمهندسي الاجانب الذين جاؤا الى ديوان الاشغال وهو هو ترتيبا وتنظيما ولا يمكن حصر المهندسين الظاهرين فى هذا الملخص وانما نذكر البعض دليلا على الكل فمن الذين تربوا فى اوروبا مختار باشا الكبير وبهجت باشا وعلي باشا مبارك وعلى باشا ابراهيم واسماعيل باشا الفلكي ومحمود باشا الفلكي ومصطفى بك صادق وابراهيم افندى رمضان وبيومي افندى و محمد افندى دقله واحمد افندى صالح ومن مهندسي السكة الحديد والتلغرافات احمد باشا فايد وحسن بك نور الدين وسلامه بك الباز وسليمان بك موسى وعباس افندى حلمي ومن الذين تعلموا فى مصر سلامه باشا ابراهيم واسماعيل باشا محمد وعلي

باشا رضا وثاقب باشا ومحمود باشا فهمي (منفي سيلان الآن)
وعامر بك حموده واحمد بك ناصر واحمد بك جمعه وبليغ
بك ولبيب بك وعامر بك عبد البر والسيد بك شكرى
ومحمود بك فهمي وصابر بك صبرى ومحمد بك صدقي واحمد
بك ذهني وعبد القادر بك فهمي واحمد بك كجوك واحمد
افندى البقلي واحمد بك شكرى ويوسف بك الحكيم وعلي
افندى الدرندلي وحسن بك الشريف ومحمد بك طلعت وعلي
بك النجار ومحمد بك زاهر وعلي بك برهان وحسين بك
وصفي وحسن بك وصفي ومحمد بك أبو السعود ومحمود بك
صفوت واحمد بك السبكي وعلي افندى عزت واحمد بك
عزي ومحمد بك عبد الرحمن واحمد بك صبرى وبهادر بك
وغيرهم ممن سنذكرهم في ادارتهم من مهندسين وباشمهندسين
فانهم جميعا تربية الادارة الوطنية وأبناء البلاد ولم ينكر عليهم
الاوروبي شيئا من أعمال الهندسة ولا زاد عليهم شيئا لا يعرفونه
او لا يقدرون عليه اللهم الا أن يكون صرفه النقود فيما يشاء
ومتى شاء بلا اذن ولا قرار فهذا لا يتعود المصرى على
ارتكاب مثله وربما عدنا فذكرنا كثيرا ممن لهم اليد الطولى

في أعمال الري مع الثناء على معلميهم من الاجانب والوطنيين وبالله المستعان

﴿ تابع المقالة الأولى ﴾

# المعارف بمصر

## حالنا أمس واليوم

أو نتيجة اتعاب المرحوم محمد علي باشا وأبنائه ورجاله

معلوم ان رؤساء الهيئة الاجتماعية الاسلامية بدأوا أمرهم بالتبصر في الامور والعناية بمعرفة ما يقدم الامة وينشر فيها المدنية ويوسع العمران ومع كون الدين الاسلامي نشأ في بلاد الاميين وانتشر على أيديهم فقد علموا ان لا واسطة للتقدم ورسوخ قدم الملك الا بالعلم فاشتغلوا به جمعا وتعليما حتى علا شأن الهيئة الاجتماعية ونفدت كلمتها وخافت أمم الدنيا سطوتها وصارت تستنجد بها وتحتمي بظلها وكانت مدرستا الكوفة والبصرة فاتحة باب العلوم العامة والتعليم الأدبي ومنها ظهر كثير من العلماء وفي الأولى ظهر الخط الكوفي وكان مسجد المدينة المنورة المدرسة الدينية العليا

وبانتقال الخلافة الى دمشق فتحت مدرستها ورحل الناس اليها ووفد عليها عالم الاقطار المختلفة دينا للتعلم والأخذ عن علماء المسلمين ثم تعددت فيها المدارس والمكاتب حتى فاخرت الدنيا بقوتها العلمية ثم بانتقال الخلافة الى بغداد تحولت القوة العلمية اليها وفتحت فيها المدارس العديدة واعتنى العباسيون بالعلم والعلماء والتربية حتى زينوا الدنيا بالمعارف والآداب وبامتداد الفتوحات كانت العرب ترحل وترحل معها العلوم الاسلامية والآداب المحمدية والفنون العقلية والفوائد المدنية فانتقل معهم نور العلم من آسيا الى افريقيا وأطراف أوروبا ودخل مصر وطرابلس واسبانيا والبورتغال وجميع البلاد المغربية وصقيليه ( سيسيليا ) وبعض جزائر البحر الابيض المتوسط وعمت المعارف المحمدية بكثرة تلامذة مدارس بغداد والقاهرة ودمشق وحلب وتونس والقيروان وفاس وقرطبة واشبيليه وغرناطه ومكة والمدينه وصنعاء وسمرقند واصفهان ودهلي وغزنه وكابل وغيرها من المدن والعواصم الاسلامية واعتنى الخلفاء بجمع الكتب وترجمتها مع عدم المطابع اذ ذاك فقد وضع الحاكم بأمر الله الفاطمي مائة الف

كتاب في المدرسه الفاضليه وتوجهت همم الاعيان والوجهاء لاحياء العلم وتعميم التربيه فكانوا لا يصرفون نقودهم الا في بناء كتاب وتشييد مدرسه كما شهدت لهم آثارهم وبهذه العناية انبثت روح العلم في المسلمين وظهر منهم علماء الشريعه الغراء والآليات ولرياضيات والطبيعيات وزينوا الدنيا بعلومهم وملأوها بادابهم ومزقوا ثوب الجهالة والضلالة بسيف الدين والعلم ثم جاءت فتنة التتار ففهقرت سير المسلمين وأوقفت التقدم العلمى وأعظم منها فتنة الحروب الصليبيه التي غرست العداوة بين الملتين الاسلاميه والمسيحيه ولاشت القوة العلميه بالقوة العدوانيه فاخذ العلم فى الانزواء ثم في التلاشي بموت أهله واقفال مدارسه واحراق كتبه ونهبها . ثم وجد من الناس من أخاف الملوك من كتب الرياضه والطبيعيه فصدرت أوامرهم باحراقها والتفتيش على المشتغلين بها لتعذيبهم أو قتلهم مع انها ما جاءتهم الا عن سابقيهم ولا كتبت الا بيد أئمتهم كالغزالي والرازى والفارابي وغيرهم فارتحل العلم لـ ورو ا بسبب هذا العدوان وأخذ نجم الدولة الاسلاميه فى الافول بكثرة الجهال فى الامه وكثر المتغلبون والممزقون لمجدها الى

أن افرغت تلك الدول الى الدولة العليه العثمانيه وكان بالبلاد بقية من العلماء فسلك الخلفاء مسلك الحكمه وفتحوا المدارس وحشدوا فيها من المتعلمين ألوفا حتى تخرج في مدرسة بروسه ( بورصه ) كثير من العلماء وصاروا أساتذة في مدارس عديدة أعتني بها ملوك بني عثمان أيدهم الله تعالى حتى ان السلطان مراد مع كونه كان لا يقرأ فانه وسع دائرة المعارف ورحل قاضي زادة الى سمرقند لتعلم العلوم الرياضية التي كان بين العلماء وبينها عداوة كبرى وبتركها فقد الهيئة الاجتماعية الاسلامية قوتها وتعددت كبتها وتقهقرت مدنيتها ولو بقيت على ما كانت عليه في الصدر الاول من الاشتغال بالعلوم الدينيه والرياضيه والطبيعيه لعجز العقل عن تصور ما كانت تصير اليه من الضخامة والعظم والقوة والسطوة . وقد تنبه بعض الولاة وعلم ان القوة لا تكون الا بالتربية فاخذ يسعى خلف تعميم التعليم وفى مقدمة كل ذى همة وعناية بالتعليم نزيل الجنة وضيف الرحمن المرحوم

محمد علي باشا

فانه عند ما تولى مصر في ١٩ محرم سنة ١٢١٩ وجد

التربية قاصرة على معرفة القراءة وحفظ القرآن الشريف فى المكاتب الصغيرة وأما كتب الفقة والنحو والحديث وغيرها من العلوم الدينية فانها تقرأ في الازهر الشريف وبعض المساجد ووجد البلاد قد خرب الكثير منها وعمت الجهالة فيها فسعى فى احسان التربية وتهذيب الابناء وتثقيفهم وترشيحهم للاعمال فدبر أمر المعارف وجعل لها ديوانا خاصا كما قدمنا ووضع لها قانونا وفي مدة قليلة فتح ٤٩ مدرسة ومكتبا فى بنادر وقرى الوجهين البحري والقبلي جعل منها احدى عشرة مدرسة اميريه عسكريه تشتمل على ٧٩٧٥ بين تلميذ ومعلم وخادم وفى المدارس الملكية ٣٣٩٦ كذلك وفى مكاتب الارياف ٥٧٥ تلميذا ومعلما وللمصروف للمدارس الاميرية ٢٦٠٦ جنيه مصري و ٢١ قرشا شهريا ومصروف المكاتب الريفية فى الشهر ٧٨١ جنيها و٢٣ قرشا وبلغ مصروف ديوان عموم المدارس فى كل شهر ٥١١ جنيها و ٣٢ قرشا فمجموع ما كان يصرف على المعارف في بادي الامر ٣٨٩٨ جنيه و ٦٩ قرشا ولزيادة الايضاح والارشاد الى فضل هذا الامير الجليل وبيان عنايته بمصر وأهلها نذكر المدارس

وعدد تلامذتها ومعلميها ومصروفها مدرسة مدرسة باعتبار ميزانية سنة ١٢٥٥ هجريه

| شهرياً | عدد التلامذة | الخدمة | المعلمون | |
|---|---|---|---|---|
| ١٤٨٤٢ | ١٣٧ | ٠٤٢ | ٠٧ | مدرسة الالسن |
| ٣٠٤٣٥ | ٣٩٧ | ٠٩٤ | ٢٢ | « البياده بدمياط |
| ٠٩ ٦٨ | ٤٣٤ | ٠٥٩ | ١٢ | « المبتديان بالسيده |
| ٠٦٦١١ | ١٦٤ | ٠٠١ | ٠٨ | « الموسيقى |
| ٣٥٦٦٥ | ٢٩٦ | ١٠١ | ٢٤ | « الطب |
| ٢٣٣٣٥ | ١١٧ | ٠٤٠ | ١٠ | « الطب البيطري والزراعة والمساحة |
| ٢٣٨٨٨ | ١٠٥ | ١٤٤ | ١٥ | مدرسة الطوبجيه |
| ٥٧٠٩٣ | ٦١٥ | ٣٨١ | ١٣ | « السواري |
| ٣٠٧٥٩ | ٦٠٦ | ٢٨٥ | ١٢ | « التجهيزيه |
| ٠٧٣٢٢ | ٠٢٩ | ٠٠٠ | ٠٤ | « العمليات |
| ٢١٤٦٠ | ٢١١ | ٠٤١ | ١٤ | « المهندسخانه |
| ٢٦٠٦٧٨ | ٣١٥١ | ١١٨١ | ١٤٣ | مجموع المدارس ومصروفها |

| شهريا | عدد التلامذة | الخدمة | المعلمون | ( مكاتب الريف ) |
|---|---|---|---|---|
| ١٥١٧ | ١٠٠ | ١٤ | ٣ | مكتب شبين الكوم |
| ١٤٠٩ | ٠٨١ | ١٤ | ٣ | « الزقازيق |
| ١٤١١ | ٠٨٨ | ٠٩ | ٣ | « كفور نجم |
| ١٥١١ | ٠٨١ | ١٥ | ٣ | « العزيزيه |
| ١٤٢٣ | ٠٩٩ | ١٤ | ٣ | « أبو تيج |
| ١٣،٩ | ٠٨٧ | ١٣ | ٣ | « جرجا |
| ٢١٢١ | ١٥٧ | ١٧ | ٥ | « سوهاج |
| ١٧٠٢ | ٠٩٨ | ١٥ | ٣ | « طنطا |
| ٢٧٨٩ | ١٩١ | ٢٤ | ٦ | « ميت غمر |
| ١٤٥١ | ٠٩٨ | ١٤ | ٣ | « ابيار |
| ٣٥٢٦ | ٢٨٤ | ٢١ | ٦ | « بوش |
| ١٤٦٤ | ٠٩٨ | ١٣ | ٣ | « الرحمانية |
| ١٥٨٢ | ١٠٠ | ١٣ | ٣ | « المحله الكبرى |
| ٢٧١٤ | ٢٠٠ | ٢٢ | ٦ | مكتب منوف واشمون |
| ١٤٨٧ | ٠٩٩ | ١٤ | ٣ | « نبروه |
| ١٤٦٩ | ٠٩٣ | ٩٣ | ٣ | جهينه |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ١٤٨٢ | ٩٧ | ١٤ | ٣ | » | فوه |
| ١٢١٢ | ٨٤ | ١١ | ٢ | » | الساحل قبلي |
| ١٥٤٨ | ٩٩ | ١٧ | ٣ | » | زفتى |
| ٢٧٣٨ | ٢٠٦ | ١٧ | ٧ | » | بني سويف |
| ١١٢٨ | ٦٩ | ١١ | ٢ | » | اخميم |
| ٢٣٢٣ | ١٧٠ | ١٨ | ٦ | » | فارسكور |
| ١٥١٧ | ٩٤ | ٤ | ٣ | » | ميت العز |
| ٢٥٤٤ | ١٨٤ | ١٩ | ٦ | » | المنيا |
| ١٣٨١ | ١٠٦ | ١ | ٣ | » | هوله قبلي |
| ١٤٤٨ | ١٠١ | ١٣ | ٣ | » | طهطا |
| ١٣٤٠ | ٨٩ | ١٣ | ٣ | » | ساقية موسى |
| ١٤٦٥ | ٩٤ | ١٤ | ٣ | » | بلبيس |
| ١٥١٦ | ١٠٠ | ١٤ | ٣ | » | الجعفريه |
| ١٤٠٩ | ١٠٣ | ١٣ | ٣ | » | اسنا |
| ١٣٩٣ | ٨٧ | ١٤ | ٣ | » | حلوان |
| ١٦١٦ | ١١٦ | ١٢ | ٣ | » | قنا |
| ٢١٩٨ | ١٦٧ | ١٨ | ٥ | » | منفلوط |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| ٢٤٩٤ | ١٥٥ | ٣٠ | ٤ | » | قلبوب |
| ١٤١٤ | ٩٦ | ١٤ | ٣ | » | الجيزه |
| ٢٥١٤ | ١٧٤ | ١٦ | ٤ | » | أسيوط |
| ٢٨٤١ | ١٩٠ | ٢٢ | ٦ | » | المنصوره |
| ٥٦٣٨ | ٤٤ | ٢٣ | ٩ | » | الزراعة |
| ٧٢١١٤ | ٤٥٧٩ | ٦٤٣ | ١٤٦ | | |

فيكون مربوط ديوان المدارس في تلك السنة ٤٦٧٨٤ جنيها ٢٧٠ قرشا وهو نصف عشر ايراد المالية اذ ذاك تقريبا ونفس سمح بنصف خمس ايرادها مع احتياجه لمصروف كبير في العسكرية والدواوين نفس سخية كريمة محبة للعلم وأهله ساعية في تقدم البلاد [illegible] رغبة في أوج عرفان ولكون الاهالي كانوا [illegible] كانوا لا يسلمون أولادهم برضاهم فتخدم المدارس [illegible] ومن نجح منهم قد تقدم في الحكومة رغبوا في [illegible] أبناءهم بأنفسهم ومع ما كان يجده [illegible] من مشق [illegible] الاحوال بصعوبة [illegible] بأنواعه وجعله من ضروريات حكومته فكانت مكاتب [illegible]

أولية يعلم فيها الخط والمطالعة والحساب ويؤخذ المتقدم فيها الى مدارس المدن ليتمم اللازم فيها وبهذا تحصلت الحكومة على عمال كثيرين ممن دربتهم في وقت قصير وانتفع الاهالى بشرف أبنائهم وترقيهم الى الرتب العالية وحصولهم على المرتبات الشهرية التى انفتحت بها بيوت كثيرة في المدن والقرى وخرج أبناء المتعلمين مهذبين وظهر منهم الوجهاء والاعيان والعمد فكانت فائدة التربية عامة في الحكومة والرعية ولكون الحكومة كانت في نشأتها مجردة من المساعد والمعين والمشير الامين مع توالى الحوادث والحروب والفتن لم يكن أ [illegible] رب التعليم على ما ينبغي فقد كان الغرض سرعة تربية اناس وطنيين تستعين بهم الحكومة على مهامها فكان التلميذ يتعلم بعض الضروريات لعدم وجود من يتمم له العلوم العالية والذين كانت تستخدمهم الحكومة من الاجانب ليسوا من المتمكنين في المعارف فكانت تستخدم من تجده منهم على اية حالة كان ولما رأت انها مضطرة لاناس متضلعين من العلوم الرياضية والطبيعية واصول التربية وترتيب المدارس والدراسة اخذت ترسل الارساليات الى اوروبا لكونها صارت مقر للك

العلوم وقد نقلت الكتب القديمة الى لغاتها وضمت اليها ما الف من رجالها بلغاتهم فاحتكرت التعليم . فأول ارسالية كانت فى شعبان سنة ١٢٤١ وقد مكثت في اوروبا ثمان سنين وتسعة اشهر مفرقة فى ممالك شتى مقسمة اقساما لكل فن قسم مخصوص فلما تحصلت على المقصود حضرت فى جماد الاولى سنة ١٢٥٠ وكان من رجالها العلامة الفاضل المرحوم رفاعة بك ومظهر باشا وبهجت باشا وكان عدد تلامذتها ١٣٧ تلميذاً فيهم المشايخ وأولاد الذوات والعمد والاهالى مركبين من العرب والترك والچركس وبعض الروم والارمن من اولاد المستخدمين منهم في الحكومة وفى سنة ١٢٥٣ أرسل ثلاثة عشر تلميذاً اقام بعضهم ثمان سنين والبعض احدى عشرة سنة وفي سنة ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ ارسل افرادا بلغوا سبعة وعشرين تلميذا ومجموع هذه الرسائل ١٧٧ تلميذا صرف عليهم ١٢٣١٧٤ جنيها مصريا وبحسب اختلاف مدة اقامتهم اختلفت مقادير ماخص التلميذ منهم ففي الارسالية الاولى تكلف التلميذ ٥١٨ جنيها واما الارساليات الاخر فانها مختلفة فمن اقام احدى عشرة سنة تكلف ٩٤٩ جنيها

ومحمد افندى اسماعيل أقام احدى وعشرين سنة فتكلف ٢٤٢٥ جنيها وحسن افندي الدمياطى اقام تسع عشره سنة وتكلف ٢١٠٧ جنيه ومحمد افندي الشباسي اقام ١٣ سنة وتكلف ١٣٣٢ جنيها ومصطفى افندي السبكي ١٩ سنة وتكلف ٢١٠٧ وابراهيم افندي النبراوي اقام ١٣ سنة وتكلف ٩٤٩ جنيها ومحمد افندي علي البقلي اقام ١٣ سنة هو وحسين افندي الرشيدي وتكلف كل منهما ٣٦١ جنيها وهكذا كانت مصاريف كل بحسب مدته وفى سنة ١٢٦٠ ارسلت الارسالية الخاصة التى منها حسن بك وعبد الحليم باشا نجلا المرحوم المؤسس وكانت سبعين تلميذاً منهم افضل الفضلاء العلامة الوزير الخطير على باشا مبارك يرأسها اسطفان بك وكان محل تعليمها باريس وتكلفت ٩٤٦١٥ جنيها ثم ارسل افراد ايضا حتى بلغ المرسلون الى اوروبا ٢٩٠ تلميذاً معظمهم من الترك والعرب وبلغ مصروف المجموع ٢٧٣٣٦٠ جنيها . وفي مدة المرحوم عباس باشا الاول بلغ عدد المرسلين ٤٨ تلميذا صرف عليهم ٨٢٩٢٣ جنيها اما مدة المرحوم سعيد باشا فلم يرسل فيها احد وفي مدة حضرة الخديوي اسماعيل باشا

أرسل ١٥٥ تاميذا صرف عليهم ١٣٧٨٦٦ جنيها وفي مدة المرحوم توفيق باشا ارسات ارسالية مع موجيل بك لم نعلم مقدار ماصرف عليها ولاتمام الفائده نذكر تواريخ افتتاح المدارس والمكاتب فتحت مدرسة البياده في شهر الحجه سنة ١٢٤٠ وجعلت بقصر العيني ثم الغيت سنة ١٢٥٢ . مكتب الحربية بالقلعة سنة ١٢٤١ . مدرسة النخيلة في شوال سنة ١٢٤٤ . مدرسة الاجزائية بالقلعة في جمادى الثانية سنة ١٢٤٥ مدرسة السواري بالجيزه في ذي القعده سنة ١٢٤١ تحت نظر حافظ فندي اسماعيل . مدرسة الطب البيطري بابي زعبل سنة ١٢٤٧ . مدرسة الطوبجيه بطره سنة ١٢٤٧ تحت نظر خورشد افندي وفي سنة ٥٦ احيلت لنظر الموسيو بورتو . مدرسة البحريه في شهر ربيع آخر سنة ١٢٤٧ . مكتب البيادة في الخانكه في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٤٨ . المكاتب بالريف سنة ١٢٤٩ . مكتب المهمات الحربية سنة ١٢٤٩ والغى سنة ١٢٥١ . مكتب البياده بابى زعبل سنة ١٢٥٠ . مكتب البياده بدمياط في صفر سنة ١٢٥٠ . مدرسة المهندسخانه ببولاق سنة ١٢٥٠ تحت نظارة الموسيو حاليكان

وفي رجب سنة ١٢٥٤ احيلت انظر لامير بك وفي رجب سنة ١٢٦٦ احيلت لنظر الملامة على باشا مبارك عند عودته من اوروبا . مدرسة التجهيزية فصلت من البياده في رجب سنة ١٢٥٢ . مدرسة الطب البشري والولادة فى ذي القعدة سنة ١٢٥٢ . مدرسة المحاسبة بالسيدة زينب فى ذي القعدة سنة ١٢٥٢ . مدرسة الانسن بالازبكية فى ربيع الاول سنة ١٢٥٢ . مدرسة الطب البيطري بمصر فى ذي القعدة سنة ١٢٥٢ . مدرسة العمليات فى محرم سنة ١٢٥٥ . مدرسة المفروزة بمصر فى ذي القعده سنة ١٢٦٥ . مدرسة المفروزه باسكندريه في صفر سنة ١٢٦٧ . مدرسة الزراعة ومدرسة المحاسبة القبطية بالعباسية لا نعلم لهما تاريخا . وعند هذا الحد يقف الفكر مستعظما هذه الاعمال فى تلك الايام الخالية من المعارف المكتنفة بالعقبات والصعوبات وقلة المال والرجال ويرى العاقل ان عمال المرحوم محمد على باشا عمل امير عالي الهمه بعيد الغور فى نظر العواقب وانه ربى من المصريين رجالا ورشحهم بالتمرين في الاعمال حتى استلموا ادارة حكومته باستعداد واستحقاق . ولا يعترض على هذا التأسيس باستعمال

بعض الرجال الذين لم يدخلوا المدارس او دخلوها وغلبهم حب الاستبداد فان تأسيس الممالك يحتاج للنقض والابرام واستعمال ما فيه الكفاءة وما يصلح لان يكون كفؤاً لفراغ البلاد اذ ذاك من المهذبين خصوصاً فى مثل حالة مصر ايام استيلاء المرحوم محمد على باشا عليها فهذا امر مغتفر لا يؤاخذ ويعترض به الا جاهل بوضع قواعد الملك المدني في عصر همجي او متعصب لا ينظر ما كان عليه آباؤه وبلاده في تلك المدة الخشنة ولو انصفه المعترض وقاس المدة التي انقذ فيها مصر من ايدى الجهل والدمار واوصلها الى اوج العلم والعمارة بالمدة التي انتقلت فيها اعظم دولة اورباوية لرأى انه كان يجرى فى طريق المدنية مغذا وغيره كان يخطو خطوا . ولقد قلت ابياتا اخاطب بها المؤسس الوحيد وانا واقف بجوار قبره ليلة المعراج سنة ١٢٩٣ نوردها هنا تذكرة لاولى الالباب

محمد اسمع ذاكرا المآثر * شهدت بها الاحباب والاعداء

احسنت فى تاسيس ملك شامخ * قد طاول الاهرام منه بناء

زينت مصرا بالعمارة باذلا * جهد الملوك وما اعتراك عناء

شيدتها لما اخذت زمامها * وجعت فيها المجد وهو هباء

وصرفت عمرك في اقتحام مخاوف * تنجيك منها همــة وقضاء
سست البلاد بحكمة وتبصر * فتجمعت في ارضها النعماء
ونشرت فيها العلم بعد جهالة * حتى زهت برجاله الانداء
حصنتها من كل خصم طامع * فجرت على ارياضها الاكماء
حيرت افكار الملوك بهمة * ماعاقها عن قصدك اللأواء
لله قلب ثابت مــارته * حرب الملوك ولاجفاه دهاء
ربيت للاحكام كل محنك * شهدت له الاعمال والعقلاء
وتركت مصرا جنة من حولها * اسد تزمجر ان عدا العداء
زاحمت مقدام الملوك بمنكب * في ساحة من جندها الامراء
وكتبت في التاريخ احسن سيرة * شرفت بها الابناء ولاباء
ثم ارتحلت وما ترحل من له * في الملك مجد صانه الابناء
ساروا على سير الامير تجلهم * عن كل وهن همة علياء
لولا تعلق قائم من بينهم * بالملك حلت ارضنا البأساء
قاموا اخديوي بعد آخر حافظاً * لبلاد من خضعت له الاعتاء
فعظيم ملكك لايزال مؤيداً * مادام يرعي اهله الحكماء
لا زالت الابناء تعلو عرشه * ليدوم اصلاح لنا وصفاء

وبعد انتقاله الى رحمة الله تعالى قام بالامر بعده ولده

الغيور البطل المشهور المرحوم ابراهيم باشا ولو طالت مدته لملأ البلاد بالمعارف لفرط حبه لها ولكن حالت المنية دون الامنية ثم قام بالامر بعده المرحوم عباس باشا الاول في ٢٧ صفر سنة ١٢٦٤ فقلل بعض المدارس وزاد البعض فكانت اعدادها ومصروفها على ما في هذا الجدول باعتبار شهر من سنة ١٢٠٥

| شهريا | عدد التلامذة والمعلمون والخدمة | | |
|---|---|---|---|
| ٧٠٧٠ | ٢٠٩ | | مدرسة المبتديات |
| ٣١٧٥٠ | ١٢٦ | منهم ٣٠ بنتاً | مدرسة الطب والولادة |
| ٢٥ ٢٣ | ٢٤٥ | | مدرسة السواري بالجيزه |
| ٢٣٦٣٥ | ٧٢ | | الرسالة المصرية بباريس |
| ١٣٠٩٧ | ١٨٦ | | مكتب الطوبجية فى طره |
| ٤٧٥٤٩ | ٣٢٠ | | مدرسة الالسن والمحاسبة |
| ٢٥٧١٣ | ١٣٢ | | مدرسة المهندسخانة |
| ١ ٩٨٥٩ | ١٦٩٦ | | مدرسة المفروزة والابنية |
| ١٤٦٤٩٧ | ٣٢٢ | | خدمة ومرتب ديوان المعارف |
| ٤٣٠١٩٣ | ٣٣٠٨ | | |

وهذا كان فى ابتداء حكومته ثم زاد المدارس وأعدادها

بعد ذلك وفي عشرين شوال سنة ١٢٧٠ قام بالامر بعده
المرحوم محمد سعيد باشا فالغى ديوان المدارس ومنع ارسال
تلامذة لاوروبا وأقفل جميع المدارس ولا ندري أي شيء حمله
على ذلك وهو بن المعارف والآداب وقد ذاق لذة العلوم
ولا يقال انه كان يخاف من كثرة المتعلمين فانه الشجاع الجريء
وأول مطلق لحرية الاشخاص بتنازله لمخاطبتهم ومؤاكلتهم
ولكنه انصرف عن المعارف ووجه همته الى التعليمات العسكرية
وأعتني بها وباشر التعليم بنفسه وجدد فيه طرقا من قوانين
أوروبا فازدادت العسكرية حسنا وانتظاما على ماسنفصله وكانه
كان يتوجس من المرحوم السلطان عبد المجيد شرا فجعل شغله
العسكرية واستحضار المعدات والآلات الحربية ولو اشتغل
بالمعارف اشتغاله بالعسكرية ماترك فى مصر جاهلا وفي مدته
توسط بعض المقربين اليه فى اعادة مدرسة الطب فأمر بفتحها
وعند عودة العلامة المرحوم رفاعة بك من السودان فتح له
مدرسة في القلعة اجتمع فيها ٢٥٦ تلميذا وكان يصرف عليها كل
شهر ٧٣٨ جنيها و ٣٥ قرشا ولكنه لم يعين المقصود منها ووضع
مع رفاعة بك معلمين للعسكرية أما بقيت المدارس فانها قد

استعملت مخازن وغيرها وبيعت أدوات التعليم كلها ووقف فن التربية في مصر الى ان قام بالامر بعد . حضرة الخديوي اسماعيل باشا في ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ ففتح جميع المدارس وفروع التعليم وجعل لها ديوانا خاصا ووجه الى المعارف كل عنايته واستحضر كثيرا من الاوروبين للتعليم وفصل التعليم العسكري من التعليم الملكي والحق كل قسم بديوانه ثم التفت الى المكاتب الاهلية وعمل قانونا للمدارس والمكاتب وسعى في نشر التعليم في المدن والقرى فجعله على ثلاثة اقسام القسم الاول التعليم الابتدائي في مكاتب القرى والمدن وهو قاصر على تعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الشريف ورسالة في علم التوحيد ومعرفة القواعد الاربع الحسابية القسم الثاني المدارس العامة في المدن المركزية من المديريات وتلامذتها يتعلمون قواعد النحو العربي والحساب والهندسة والجغرافية والتاريخ وبعض قواعد علم الطبيعة كالحوادث الجوية وبعض فوائد كماوية تتعلق بالنبات والشجر واصلاح الارض ليترشحوا للدخول في المدارس العالية القسم الثالث المدارس الاميرية وفيها يتعلم تلامذتها جميع العلوم الاولية التي يتأهلون بها للدخول

فى المدارس الخصوصية وكان يصرف على المدارس الخصوصية من طرف الحضرة الخديوية . وأماالابتدائية والتجهيزيةفكان يصرف عليها من الحكومة ومما يحصل من أهالي التلامذةمن عشرين قرشاً الى مايه بحسب اقتدارهم . واما المكاتب الاخر فكان يصرف عليها من ايراد اقطاع ( جفلك )الوادى الذى اعطاه الخديوى الى المكاتب الاهلية ومن الوقف الخيرى المحصورفى ديوان الاوقاف والموجود تحت نظر بعض الاهالى ومما يحصل من آباء التلامذةمن خمسةقروش الى خمسة عشر بحسب اقتدارهم وكانت الايتام تربى فى كل مدرسة ومكتب على طرف الحكومةوجميع أدوات التعليم وآلاته تعطى لعموم التلامذة بلا مقابل . وبهذه الطريقة صار التعليم عام فى المدن والقرى والمدارس والمكاتب وانتفع بتربية الوف من ابنائهم وكان الفضل فى حمل حضرة الخديوي اسماعيل باشا على هذا التعميم لابي المعارف ومرتب المدارس وواضع فن التعليم على قواعد مستقيمة بعد ان كان اجتهادياً العلامة الفاضل الوزير الجليل على باشا مبارك فانه من يوم مجيئه من اوروبا ما انقطع يوما عن الاشتغال بما يعمم التعليم في مصر

وكثيرا ماافتتح مدارس ومكاتب بلا اذن ثم لما وقفت موقع الاستحسان تقررت ولو عددناها لاحتجنا لمؤلف مخصوص

﴿ الى هنا ماوقفنا عليه من هذه المقالة ﴾

## المقالة الثانية

(متى يستقيم الظل والعود أعوج)

ماأضاءت شمس المعارف فى أمة الا اهتدت الى سبيل الرشاد وسلكت طريق الحضارة ونالت من الغايات اقصاها وقهرت المصاعب بما تتخذه من الوسائل الداعيه الى سعادة بلادها وتمتعها بنعيم العيش كتقدم الزراعة والتجارة والصنائع الى غير ذلك مما يثبت فيها روح المدنية والعمران

ولكن ماعلمناه عن السلف وما نعلمه عن الخلف قد يشذ في الغالب عن تلك القاعدة فكم من دولة نبغت في المعارف وغاصت بحار العلوم فأتت بدرها المكنون وجوهرها الثمين ولم تشعر الا وقد صدها عن بلوغ الآمال عوائق لم تخطر لها على بال فاضحت تقاسي مرارة الهوان وتعض بنان الندم على مافرطت فيه ولو كانت قرأت العواقب وعززت هرعها الي

أبواب العلوم بالقيام بما يجب عليها للوطن ويرفع شأنها ويقيه من تقول الغير ما آل أمرها الى الاضمحلال ولا ضربت عليها الذلة والمسكنة

فاذا سألها سائل وقال لها ألم تفطنى لحوادث الايام وما جاء به تاريخ الغابرين فلا جواب لها الاان تقول أتقنت دراسة العلوم لاكون من العلماء غير العاملين أو لاتخذها آلة لارتكاب الجرائم ومعيناً على التمسك باهداب الاهمال كلما خصت المعارف وسبرت غورها . وقد علمنا أن من أعظم اسباب انحطاط الدول عدم الألفة بين ابنائها وترك نار الشقاء تشب فيهم فتدمر ماقل ان تصلحه الايام . فعليكم بني الشرق عموما واهل مصر خصوصاً باتخاذ الحزم ديدناً وتأييد مواثيق الوفاق حتى تستردوا ماسلبتكم اياه الخطوب واغار عليه الغير بان تصلحوا ذات بينكم عملا بقوله تعالى ( وأطيعوا الله والرسول ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ) كيف لا وقدعلمتكم الحوادث ووزنتم بميزان التجارب قدر تحمل رق العبودية والانصياع للاغراض ألم يكفنا ماقرع آذاننا غير مرة من التبكيت بعدم اقتدارنا على القيام بشؤوننا واعباء اعمالنا وعجزنا عن حسن التصرف فيها

منحناه من لدنه عز وجل من الخيرات التي تتسابق اليها الامم وتؤمها من أقصى البلاد لتتمتع بها فلنسلك طريق السداد ولنعول على روابط الالتئام ولنتعاون على رد ذلك التبكيت بما ننشأ عن اتحاد الكلمة من الصلاح والحصول على درجة من السعادة والسيادة

عجباً لنا لم لم نتفق على مافيه نفعنا وعلو مكانتنا وتتبع قوله عز من قائل ( واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً ولم لم نحافظ على مجد آبائنا الاولين الذين سادوا بين معاصريهم والفوا المؤلفات العديدة واخترعوا الاختراعات المفيدة ولم تزل أعمالهم شاهدة لهم حتى ورد عذب منهلها من خلفهم فافاقوا من غشية الجهالة وها هم اليوم يبكتوننا بتقصيرنا ونحن نسل تلك الامة العربية أصل العمران ومنبع الحضارة . فلنعول على الاعتصام بحبل المؤاخاة حتى نتمكن من تذليل المصاعب ونستقصي المطالب . عجباً لنا لم لا نجمع بين مشتات أفئدتنا ولم لا يعمل المتنور منا الواجب عليه بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى بنصلح حال من ضلوا عن

سبيل الهداية وجمحوا في فيافي الغواية وتهذب أخلاقنا جميعا وأخص بذلك الاغرار الذين يتبارون في مضمار الملاهي ويجاهرون باتباع الشهوات بدون أن تحرك فيهم حمية وطنية تستنهضهم الى جمع شمل افكارهم وتوحيد آرائهم التى تباينت كل التباين واتحاد كلماتهم التي تناقضت كل التناقض فابدت دسائس الغير . لمَ هذا التغالي في عدم المبالاة ولمَ ولمَ . . بمن يقتدي الفقير اذا رأى الغني زائغا عن طريق الصواب وكمال الصفات ولا يسوغ لنا أن نعنف مثله أو نضربه بضروب اللوم كما يفعله البعض . ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفساد الذين شبوا على ارتكاب الرذائل وصرفوا ثمين وقتهم وجسيم أموال آبائهم في ترويج تجارة الاجنبي بتعاطيهم خموره المتنوعة التي لا تروج في بلاد غير بلادنا . أولم يقرع آذانك عاقبة حال من عملوا على منوالك ولعبوا الميسر ( القمار ) فلعبت بهم أيدي الحوادث وأصبحوا أذلاء بعد ان كانوا أعزاء . أم لم نعلم أنه لو لم يجد فينا الاجنبي استعدادا لقبول كل مايعرضه علينا مما خفي ضره تحت استار التحسين ما ربحت تجارته ولا ترك وطنه العزيز وشد عنه الرحال

فلنفقه الحقائق ولنعتبر بتقلبات الايام وصروفها ونعقد لواء العزم على تغيير الخطة قبل أن يتسع الخرق على الراقع عجبا لنا لم لا نقتدي بمن خالطناهم السنين العديده ونتطبع بطباعهم الحميدة المؤسسة على تعزيز وطنهم مهما شطوا عنه والذب عن حقوقهم والمحافظة على عوائدهم ودينهم ولغتهم والتمسك بعروة الوفاق وغير ذلك مما ضمن لهم الفخر علينا ونحن نرتع ونلعب مفرطين في اتباع الشهوات وتضييع الاموال ولقد تمس بنا الحالة أحيانا لاقتراض الدراهم من أحدهم فيصرف لنا من خزائن كرمه مالا يفوته تخليده في بطون الاوراق (الكمبيالات) مع أخذ الاحتياطات اللازمة على حقوقه وتسجيل مايراه مناسبا له من الربح فنثني عليه ونخرج من عنده وآخر دعوانا أن الحمد لله والشكر لهذا الخواجه الكريم وبعد ان نخرج نتذكر أيام الحظ وليالي اللهو فلا يسعنا الا التوجه الى (الخواجه بول مثلا) صاحبنا القديم الذي جمعت خمارته من النبيذ الالذيذ والشمبانيا العال والبيرة اللطيفة ماسلب أموالنا فنلهب هناك أحشائنا ببعض جرعات ثم نتركه قاصدين قهوة فلان المشهورة بالراقصات وهناك نزيد الطين بلة واذا نفد ماعندنا من الدرهم

فلا نستقبح تسليم الخواجا ساعتنا حتى نوفيه حقه ولا نزال على هذه الحال والديون تتراكم علينا حتى يباع ماتملكه وقس على ذلك مايعجز عن تسطيره اليراع فليتيقظ الغافلون وليتذكر المذكرون والامتى يستقيم الظل والعود أعوج

عجباً لنا ولاهلينا الذين تفرقت كلمتهم ولم يتعاونوا على خدمه بلادهم بل مهدوا للعابث طريق التداخل في شؤوننا بالتشعب الذي حال بينهم وبين الاصلاح وجعلهم مضغة في الافواه ومرمى لسهام الملام ولم يكتسبوا سوى التنديد الفاضح والتفريع الفادح . فلنعظ بسير الغربيين ونقتد بهم فى غيرتهم على خدمه أوطانهم ورفع شأن أبناء جنسهم ولنجعل أعمالهم موضوع دراستنا فقد قضوا زمانا طويلا وهم متقلدوا أهم المناصب الشرقية أفهل رأيناهم يخدمون بلادنا مهملين صوالح أوطانهم كلا بل الايام السعيدة التي قضوها في الشدة لم ينسوا تلك الاوطان بل جعلوا لها الحظ الاوفر والنصيب الاعظم لاحذراً من انتقاد منتقد ولا خوفا من لوم لائم بل أداء لما فرضوه على انفسهم من الاخلاص في خدمة محل نشأتهم وأبناء جنسهم فلله درهم من حازمين عقلاء ولله هي من خلال

حميدة وغيرة وطنية

ولم لا نكون مثلهم في أمصار ترينا بها في مهد ليسار والخير ولم تلجئنا قلة ذات يدنا فيها الى أن نأبق أو نرحل عنها كما فعل غيرنا فبالله قل لي لو ضاق العيش بنا لاسمح البارى ومستنا الحاجة الى شد الرحال وترك الاوطان أليس من باب أولى أن نهملها ونهب أنفسنا لخدمة من يحسن مثوانا ويسد رمقنا ونحن بعيدون عنها نعم ولا شك الا انه لا توجد في تلك الامم المتمدنة من تسمح لنا بالتداخل فى شؤونها مهما كانت كفاآتنا ولا من ترأف بنا أو ترق لحالنا ولنا في الاحوال الحاضرة والاخبار اليومية أعظم برهان وأوضح دليل فلندرك الحقائق ولنتدارك الامر وليرتضع أولوا الامر منا أفاويق الوفاق فقد اشتدت الازمة ولنعتبر بالامثال العديدة حتى لا نقع فيما نخشاه

عجباً لنا ولاهلينا مالهم لا يقلدون الاجنبي الا فيما لا يجدي ولا ينفع كالتفنن في المأكل والمشرب والملبس حتى علموه كيف يكون التفنن والتأنق والزهو أن يبرز لهم كل يوم من عجائب المودة ( النمط الجديد ) والاصناف المتنوعة ما نطوى غشه

تحت أستار التحسين وبذا ضمنوا له تشغيل فابريقاته وتحويل أغلب ماتخرجه هذه الفابريقات من أنواع الزخرف على الشرق ومن به . وما أسرعنا اذا أحضر تاجر منهم صنفا جديداً الى التسابق لشرائه ودفع الاثمان الباهظة فيه بنية صافية ورضاء قلب بدون أن تحرك الوطنية فينا عواطف طاهرة تيقظنا من هذه الغفلة وتحثنا على تقليد الغير والنسج على منواله لنخرج بالاقل من حيز الحاجة لاننا لو عللنا النفس باكثر من هذا وعزمنا على مجاراته في جميع اعماله ونحن على هذه الحال وقصدنا تشغيل معاملنا وعرض مصنوعاتها على سوقه فاننا نرجع لاشك من عنده بخفي حنين اذ لايحضر هناك من يبتاع منا مثقال ذرة أو من يترك مصنوعات بلده ويعكف على تجارتنا فيرفع عنها غشاء الكساد

فلنخلع لباس الاهمال ولنعر آذانا واعية لاقوال الحكماء ونصائح أولي الجرائد الوطنية المنزهة عن الاغراض فما فيهم الا كل استاذ مدرب خبير ومؤيد بدلائل الحق الساطعة وأسانيده الدامغة ومتباعد عن حث ذوى الاغراض فما فيهم الا كل مناع للخير معتد أثيم كيف لا ونحن اليوم في عهد أمير

جليل عارف بواجبات وطنه ورعيته فلنخلص في محبته والعمل
علي شاكلته والا متى يستقيم الظل والعود اعوج

## المقالة الثالثة

### ( هذه يدى فى يد من أضعها )

ضعها فى يد وطنيك واعقد خنصريكما على محبة امير
البلاد وسيدها الخديوى المعظم مرتبطة هذه المحبة بمحبة امير
المؤمنين الخليفة الاعظم والسلطان الافخم والا فقطعها خير
من وضعها فى يد اجنبي يستميلك اليه بوعود كاذبة وحيل واهية
يظهر لك سعيه في صالحك وحبه لتقدمك ويرهبك باوهام
لا توجد الا بينك وبينه ويغرك بدعوى انفراده بالسلطة عليك
وبعد الدول عنك ويضلك بنسبة أمرائك للقصور وحكامك
للجهل والظلم ويصور لك الاباطيل في صورة حق يخدعك به
ويحول أفكارك الشرقية الى افكار غربية تأخذها وتقول بها
فتكون يده القوية وعونه الاكبر على ضياع حقوقك واذلال
اخوانك واسترقاق اهلك ونزع سلطة اميرك وسلطانك وانت
لا تشعر بشيء من هذا . ان وقوف العامي بباب الاجنبي لياذاً

والتباعد تبيح شنيع ووقوف العالم اقبح واشنع ووقوف العظيم
اردل وافظع ونحن في وقت اضطر فيه الاجنبي للاحتيال على
بعض اهل البلاد بتودده اليهم وتردده عليهم بعد ان كانت العظمة
تمنعه من قبول الزائر منهم . ومن يرجع للاغترار بالوعود
والاكاذيب وهو يرى ذل غيره ممن اوقعهم تصديق الاكاذيب
فى شرك الاجنبي فاصبح يئن ولا راحم له وينادى ولا سميع
لندائه فما كان دخول انكلترة فى الهند الا لوضع حكومة نظامية
وتشكيل هيئة مدنية وهي الى الآن تدعى هذه الدعوى مع
انها وضعت في عنق كل هندي غلا تقوده به الى ما تريد على
اية صورة ارادت واصبح مسلموه فى ذل وهوان يقاسون
من سوء المعاملة ما تتفتت له الاكباد ويرون من قسوة الحكام
وسلب الحقوق والمعاكسة الدينية ما تنخلع له النفوس ولو دخل
المصريون الهند لكان لهم اكبر عبرة واعظم محذر من مشاركة
الهنديين فيما هم فيه من الاسترقاق والعذاب ولا يظن غير المسلم
من المصريين انه يعامل معاملة خاصة تريحه وتلحقه بالمستر في
نعمه فان رؤية المجوس والبراهمة تؤكد كل من اوقعته المقادير
تحت استبداد انكلترة التي لا تعد غير الانكليزى من نوع

الانسان . انا نرى البحري الهندى في مراكبهم يا كل العدس بالخبز اليابس ولا يرى اللحم الا في الاعياد ونرى البحري الانكليزى تحمل له اللحوم في الصناديق من مسافة بعيدة وحكم العسكرى البري حكم البحرى من الفريقان فاولى بالمصري ان يعتبر ويتنبه فقد كشفت له الحقائق وذاق من مبادى الهوان ماهو اشد الما من سوط الاستبداد الظاهري واذا علم ان جرائد الانكليز في الهند الى الآن تقول في كل سنتين او ثلاث قد وطدنا الامن في الهند ونظمنا حكومته وما بقي علينا الا ان نترك البلاد لاهلها علم احتيالهم ووعودهم الوهمية الانجاز وانما يفعلون ذلك لئلا يسأم الهنديون من سوء تصرفهم فيهم واستبدادهم فيمنونهم الاماني الكاذبة لتطمئن قلوبهم بعض الاطمئنان ولهم العذر فى ذلك فان كل أمة حكمت أمة تغايرها حسناً ولغة ودينا ووطناً تتوجس الشر من كل حركة من حركاتها السلمية فضلاً عن العدوانية فهى تجتهد فى نزع السلاح من أيديها وتقليل ثروتها وابعاد ابنائها عن الاعمال والوظائف العالية وهذه أمور توجب استعمالها سلطة الاستبداد فى صورة الدستور. وسياسة انكلترة فى تذليل الامم سياسة كانت خفية على كثير

من الشرقيين وقد اظهرتها تقلباتها وخلف وعودها فمن ذلك
اسلام القسوس الثلاثة الذين ارسلتهم الى الهندايام اختلافها
في الحدود مع الروسية وخافت من دسائس روسية ان يفتتن
المسلمون بقولها ان انكلترة تسعي في تغيير دين المسلمين
عند ماتحكمهم فارسلت هؤلاء الثلاثة ينادون في الطرقات انهم
كانوا نصاري وبحثوا في الاديان فوجدوا الاسلام اصحها
فاسلموا وصاروا يصلون في الطرقات ويدعون المجوس للاسلام
واسلم بدعوتهم كثير منهم ثم لما تعينت لجنة من الدولتين
لتحديد التخوم عاد القساوسة الى كنائسهم بعدان افهموا
مسلمي الهند ان انكلترة لاتتعرض للمسلمين ولا لمن يسلم
من قسوسها فابطلوا دعوى روسية ونزعوها من عقولهم .
ومن ذلك المسجد السياسي الموجود بليفوربول الذي بناه وأظهره
الاحتلال المصري ليغتر المصريون بما يسمعونه من اسلام بعض
الانكليز في نفس بلادهم وعدم تعرض الحكومة والاهلين
لهم مع انهم يعدون زيارة المصريين لاميرهم تعصبا دينيا وينسبون
للجرائد الاسلامية اكاذيب يفترونها وعبارات يدسونها لم يقلها
مصري ولا حرك شفتيه بها كاتب تهييجا لاوروبا بالوهم وحشا

للانكليز على السعي ضدنا فانهم لا يتأثرون في بلادهم الا من مطالبة المسلمين بحقوقهم تعصبا منهم ثم انهم يرمون الشرقيين بما لم يوجد الا في الانكليز فانهم لو رأوا منشية اسكندرية وازبكية مصر وخمارات البنادر والريف ورأوا انهماك الناس في شرب الخمور والانصراف عن المساجد لقالوا ان بعض المصريين غير متمسكين بدينهم ولم يقولوا ان هناك تعصبا دينيا ولكنهم يكذبون على من لا يعلمون من شان مصر الا ما يطبع في التيمس والدلينوز وجرائد ايطاليا ولا يرى السائح منهم الا نزل شبرد وما حوله من الطرق المنظمة فيظن ان مصر كلها صارت في هذا النظام على أيدى انكلترا فيعود ويملاء جرائدهم بما فعلوه الانكليز من الاصلاح في مصر . وبالجملة فاننا في حاجة لهجر الباب الاجنبي وملازمة أبواب حكامنا الوطنيين مع المحافظة على حقوق المستوطنين والمجتازين وعدم التعرض لشيء . مما يختص بالسياسة العالية أى مما يختص بالملوك فان زيارة بعض الافراد الاجنبي تزين له السعي في بسط سلطته وتهيء له ان الامة من هذا القبيل وربما أوهم هذا الزائر انه ينوب عن بلده فيزداد غروره وتقوى سرائمه

على احداث العراقيل امام الوطنيين وحيث ان انكلترة لها مصالح بمصر كبقية الدول ولكنها ترى ان مصالحها أعظم من مصالح غيرها فنحن مع صرف النظر عن مصالحها نشكرها على ماقدمته لنا من دروس التهذيب والتأديب وما هدتنا اليه من تعليمنا المطالبة بحقوقنا وتمييزنا بين الضار والنافع وتعريفنا الفرق بين السلطتين الوطنية والاجنبية وهذا باب يلزمنا شكرها على تعبها في تأديبنا مدة أحدى عشرة سنة حتى رشحتنا للاعمال وهيأتنا للمحافظة على الخصائص والامتيازات وعلى الخصوص الدروس الاخيرة التي بها أخذنا الشهادة الدراسية وصرنا مؤهلين لما يفوض الينا من الاعمال

﴿ المقالة الرابعة ﴾

## تجاذب الجنسيات والاديان

من وقف في مزدحم العالم الانساني ورأى الحاصل بين الناس من الحب والبغض والانس والنفور والتوافق والتخالف والتواصل والتقاطع أخذته الدهشة من حصول هذه الاضداد في جموع ترجع الى أصل واحد ولكنه اذا أنعم النظر وابعد

في الفكر ورجع بالعالم القهقري واسكن كل فريق في قطعة من الارض تخالف متاخمتها بالتغيرات الجوية والمطعومات النباتية والحيوانية وعلم كل أمة لغة مخصوصة وألزم كل طائفة بدين تأخذ به وتعتقده وعودها بعادات تميل اليها وتحافظ عليها ثم ترك هذه الامم التي جزأها وقطع المواصلة بينها على هذه الحال سنين ثم ألجأ فرداً من أمة الى الارتحال الى أمة أخرى لاستنكرته من أول نظرة وفر هو منها أو نفرت منه ووقع بينهما من النفرة والاستغراب مايقضي به العاقل أن هذا المرتحل أجنبي من هذه الامة ولولا انه على صورتها خلقاً لقضي عليه بانه من نوع يخالف نوعها فاذا لزمها اليوم بعد الآخر ودامت المخالطة والمعاملة وخاطبها بلغتها ودان بدينها وقعت الالفة بينهما بقدر ضرورة الاختلاط بحيث تفرق بين محبتها له ومحبتها الفرد من افراد جنسيتها . ولو اجتمع فريق من الامة في مكان ومعهم هذا الدخيل لكان انعطافهم على بعضهم أعظم من انعطافهم عليه وثقتهم بانفسهم أقوى من ثقتهم به فاذا كان لهم سر اخفوه عنه مع انه لا يتكلم بغير لغتهم ولا يدين الا بدينهم ولا يسكن غير أرضهم ولكن التجاذب الجنسي حال بينه وبين

الوصول الى درجة المثيل . وعكس هذا انالو فرقنا بين اثنين من وطن وهما صغيران ثم جمعناهما بعد ان شاخا في وطنين متباعدين وخاطب كل صاحبه بلغته وعرفه انه من جنس كذا لجرت مياه المحبة والحنان في عروقهما وجذبتهما رابطة الجنسية بقوة لا يقدوان على دفعها كيفما كان التباين بينهما بل لو قعد كل أمام صاحبه من غير أن يكلمة لوجدا في قلبيهما ميلا لبعضهما لا يعرفان سببه . وبتفرق الامم في الاقطار وطول التقاطع واختصاص كل أمة بلغة ودين صار كل فريق جنساً مستقلا له طباع وعادات ولغات تخالف طباع وعادات ولغات الجنس الآخر وبتقلبات الدول في الفتوح قديماً وحديثاً اختلطت الاجناس فاختلفت الطباع والمألوفات وربما وجد في البيت الواحد اثنان يخالف أحدهما الآخر بحكم الوراثة الابوية والنزوع الي عرق التوليد الاصلي . وعند مجيء الدين الاسلامي وانتشاره في أفريقيا وآسيا وبعض أوروبا امتزج العرب بالفرس والشاميين والمصريين والترك والروم والغوط وبعض الطليانيين والافرنج والسودان والحبشة والهنديين والويغور وغيرهم والف بين قلوبهم فتوحدت كلمتهم وصاهر

بعضهم بعضاً بجامعة الدين فنتج جنس يجنح الى الاصول بعرق التوليد ميال للجامعة بوحدة الدين والوطن والتابعية وبمرور الزمان استقل هذا الجنس وصار مستعربا بمخالف أصوله وقد غلبت عليه المخالطة الوطنية والاخذ عن العريقين في النسب فانخلع عن أميال الاجناس البعيدة انخلاعا تاما وفي أيام الحروب الصليبية وتغلب اللاطين والانكليز والالمان والافرنج على السواحل السورية حصل اختلاط الغربي بالشرقي ونشأ عن الفريقين قسم رجاع باصله الى جهة العصبية ميال بتربيته واستيطانه الى أرض نشأته كما حصل مثل ذلك أيام الرومانيين حيث داخلوا أمم أوروبا واختلطوا بهم عند حروبهم الدينيه وبجامعة الدين حصلت المصاهرة فتولد جنس ميال لغير ما عليه الاهل وبطول الزمن عاد الى طباع أهل وطنه بتغير اسمائه وكذلك عند تغلب الافرنج على مصر ولكنهم لقصر مدتهم لم ينشأ عنهم الا اعداد قليلة جداً في وسط المصريين . واذا نظر المتأمل في سحن الشرقيين والغربيين وكان خبيراً بصور أهل الاقاليم أمكنه أن يرد كل ذات الى جنسها الاصلي بضميمة الافعال الى الصورة فان الصورة وحدها غير كافية في الحكم لانها

قد تأتي من نظر الحامل الى صورة اجنبية وتأثرها بما يقع في ذهنها من استحسان أو استقباح ولهذا يحكم بخطأ من رأى ولده يخالفه في بعض أوصاف الصورة فاتهم أمه بالريبة وانما اذا رأى ولده يحب ما يكرهه ويكره مايحبه وقد غلبت عليه طباع من جاء بصورتهم ورآه يميل اليهم ويستحسن ماهم عليه من الاخلاق والعادات ويستقبح ماعليه أبوه من ذلك فلا شك في مجيئه من ذلك الجنس وهذا الباب وان رآه بعض الناس قليل الفائدة بعدم تبصرهم فيه فان له دخلا عظيما فى الامور السياسية والتقلبات الدولية فانا نرى كل أمة استقلت بنفسها وبعدت عن الخليط والدخيل تجاذب الى بعضها تجاذب حلقات السلسلة الى بعضها البعض وربما كان فيها مزيج اجنبي يستره الاختلاط وطول المعاشرة ويمنع من ظهوره عدم وجود مايحتك فيه حتى يتأثر ويرجع بالجاذبية الى الاصل . فاذا دخلت أمة على هذه الامة وكان في المدخول عليها عروق منها نزعت اليها وعطفت عليها واسرعت في تلقي عوائدها وانقادت لانفعالها بافعالها وأقوالها وعادت تذم من ولدت في ارضهم وتربت بين ظهرانيهم وعرفت لها أبا أو أبوين منها صورة واستحال على اخيها

الوطني ارجاعها الى الجامعة الوطنية لاستبداد الدم الاصلي عن
تلك الذات التي كانت في حكم السائح الغائب عن وطنه لغرض
فلما انقضي عاد الى وطنه وبهذه الجاذبة فاز كثير من الدول
في حروب شتى بانصياع الدماء السائحة اليها فتدلها على عورات
دولتها وتساعدها بتثبيط الهمم وبث الفتن حتى تمكنها من
بلادها بغلبة جاذبة الجنسية على الوطنية . وهذا سر خفي
ظهرت منه عجائب في الفتوحات الدولية والجامع
الاختلاطية . وهناك صبغة تنصبغ بها الذات فتقع بين طرفي
تجاذبها مع الجنس وهي صبغة الدين فانها تحكم على الذات
بحسب ما انصبغ بها وان خالفها جنساً ووطناً ولكن اذا وقع
خلاف بين منصبغين بها هربت الطباع الى أصولها فاننا اذا
رأينا حربا قامت بين فرانسا وانكلترة مثلا تهرب الطباع
الى الجنسية ويقابل كل دينه بقلب كالصخر ونفس عاتية
عادية فلا يسره الاذى دينيه والانتصار عليه بهتك عرضه
وتخريب بيته واذلال سلطانه وكذلك لو وقعت حرب
بين عربي وعجمي تماثلا دينا هربت الطبع الى الجنسية
فتري عربياً في أقصى الارض يفرح بانتصار مثيله على العجمي

والعكس بالعكس فاذا ظهر مغاير لهما ديناً وتسلط على أحدهما سترت صبغة الدين تلك الطباع الجنسية وحولتها الى التوحيد والائتلاف بجاذبة الطرف الديني واذا بعدت امة عن أمة وقد تسلطت أمة أخري على مثيلتها تألمت من بعد وعمها الحزن والغم بالجاذبية الجنسية ان كان التسلط بين جنسين أو بالجاذبة الدينية ان كان التسلط بين مختلفين ديناً وهذا الذي يدعو المسلمين لتألمهم من وقوع الهند تحت أيدى الانكليز وتونس تحت أيدى فرنسا وبخاري ومرو وما وراء النهر تحت أيدي روسيا كما يدعو المسيحيين لتألمهم من وقوع مسيحي الشرق تحت أيدي الدولة العلية والحكومات الشرقية. وقد حكمت جاذبتا الجنس والدين على اليونان ورومانيا والصرب والجبليين والبلغار بالنفرة من جاذبتي الترك. الاسلام فرضيت بالخضوع مدة الضعف حتى بدا لها تلاصق حازبتها الدينية بدول أوروبا فتحركت الاستقلال بدافعة الجاذبية واعانة الدين ولو ان الترك حولوا أصولهم الى الصبغة الدينية لبقي بينهم وبين هؤلاء من الالفة مايوجب التوحيد الديني فكم جنسيات سترت ميالها بالصبغة الدينية كما هو مشاهد في

رجال الدينين الاسلامي والمسيحي واذا تأملنا في الامم الشرقية الحاضرة ورأينا افراداً مائلة الى الامم المتغلبة على أوطانهم كالانكليز والفرنسيس مع مماثلة الدين في البعض أو مخالفة المذهب أو الدين ومع بعد الوطنين واختلاف اللغتين علمنا ان الجاذبة الاصلية الآتية من الاختلاط هي التي تحول المرأ عما عليه قومه وتلجئه الى الانحياز الى الاب الاصلي وان كان على غير دينه الآن أو لا يعرف من لغته ولا كلمة وبهذا التجاذب تقع الثقة من الدولة المتغلبة بهذا الابن المربي في غير وطنه فتعطف عليه وتستعين به على مقاصدها في قومه وبني وطنه. وليس المراد ان الجنس الباقي على طهارته من اخلاط الغير ينفر من كل جنس يخالطه فان التأنس في نوع الانسان فطري لا يحتاج الا الى مسالمة خفيفة وانما المراد ان كل جنس خلص من امشاج الاغيار لا يجنح الي الغير التجاء واستحسانا لسلطته عليه بل يعاشره بقدر ما تدعو الضرورة فاذا جاء وقت التسليط نفر وشذ فلا يقع تحت قهره الا بحكم الضعف والهزيمة. وكل من خالطت اصوله الاخلاط لا يختلط بالجنس الخالص الا بقدر ما يري اصوله حات من

يده فتطير طباعه الى جو الجنس بحكم الجاذبة ولهذه العلة امتنعت أوروبا من توظيف غير جنسيتها في وظائفها العالية وسلمت جميع اعمالها خصوصا الحربية الى رجال خلصت جنسيتهم من الخليط خوفا من رجوعهم بالغرائز الى الاصول وقت الحروب فتذل الدولة أو وقت السلم فتقع في الفتن الداخلية فاذا بحث خبير في اختلاف اهواء الشرقيين ورجع بأفكارهم الى ما يميلون اليه امكنه ان يرد الدماء الى أصولها بالحنين الاصلي . وكذلك لو بحث هذا البحث في الامم الاوروبية لرد الخليط فيها الى أصلها بالسحنة والفعال وكما توجد الالفة بين الاقارب مع اختلاف الآباء توجد بين الاجناس المتقاربة وطناً المتحدة دينا كما يرى ذلك بين دول أوروبا فان قرب الجنسية ووحدة الدين قضيا عليها بالائتلاف في وقت مقاتلة امة شرقية فلا تجد دولة الابداعية مالكيفمع كراهتها انتصار الشرقي على الغربي وكذلك نري ذلك بين الاجناس المسلمة من عرب وترك وفرس وهنديين وغيرهم فانهم لا يفرق كلمتهم الا المظهر الملكي ومع ما بينهم من التفرق فان كل قسم يتألم من أجنبي يحكم قسما ثانيه فان الصبغة الدينية تجذبه عن وجهة

الاجنبي بحكم التلاحم الديني . واقرب الاماكن الينا مصر التي نحن فيها فانها بلاد اسلامية مختلطة بقليل من الاقباط الذين تجذبهم الجنسية الى كثير ممن تولدوا ممن اسلم من سابقيهم وتدفعهم الوطنية الى التلاصق بالمجموع بجاذبة الوطنية والالفة وطول المعاشرة التي قامت مقام اتحاد الجنسين وقد طرأ على المجموع المصري الجنس الانكليزي فاذا سارزنا الناس وسألنا كل واحد على انفراده عن ميله الحقي رأيناهم على الفطرة لا يقطعون حلقة من حلق التجاذب الجنسي والوطني ورأينا دماءهم بعيدة عن مشابهة الدم الانكليزي . ثم نرى بين هذه الالوف المؤلفة افراداً آحاداً او عشرات لا يبلغون العشرين يميلون للانكليز بحكم الجاذبة الاصلية التي كان يسترها بعد الجنس عنها وقد اظهرها الاحتكاك فيه الآن وكذلك غيرهم من الاجناس الشرقية فاننا لا نجد فيمن يميل اليهم ميل حنو وانعطاف ويستحسن ماهم عليه من القسوة وحب اذلال الشرقيين واستعبادهم الآن الا من ماء انكليزي وان لم يعرفوه ولا يعلموا له أباً منهم الآن والحكم على ابناء الانكليز الشرقيين هو الحكم على ابناء الفرنسيس . وأكبر شاهد على التجاذب مارأيناه

من المصريين في العهد الاخير فانهم بضعف السياسة السابقة
بتقلب الافكار الاجنبية ناموا تحت سوط الاجنبي مدة الضعف
فلما رأوا محافظة اميرهم الافخم على عز الجنسية ومجد الحرص
على الخصائص الوطنيه ظهر كمين باطنهم من حبهم استقلال
اميرهم بادارة حكومته برجاله وقابلوا همته بالنداء باسمه
والالتجاء الي بابه ولم يشذ عنهم الا من جاء من ماء اجنبي
فاقعدته الجاذبة عن الالتئام بمن كان يراهم اخوانا له قبل ان
يجتمع بآبائه الاولين . وكم في الجواذب الجنسية والدينية
والوطنية من اسرار تظهر عجائب وغرائب والناس تنسبها
للظواهر السياسية ولاطماع الذاتية والخطأ في القول اوعدم
الاحكام في العمل ولو امعنوا النظر واعطوا هذا المقام حقه لما
حكموا على شيء من عوارض الامم ولوازمها الا بحكم التجاذب
جنسياً كان أو دينيا أو وطنيا فان هذا السر هو الكهرباء
المتطايرة في الاقطار لتجمع كل شريد على أصله وترد كل
غريب الى وطنه ولعلنا نعود لهذا المقام ببسط واسع مؤيد
ببراهين أقوى وأوضح ليعلم الضعفاء مثلي سر جاذبة الجنس
والدين ولا يقفوا عند مرئياتهم وظواهر العالم الانساني بعد

وقوفهم على الحقيقة ومعرفتهم قانون الفراسة بما يسمعونه بالآذان ويرونه بالعيان ولا يعترض على هذه الفذلكة بما يري من التئام سياسي شرقي بسياسي غربي فان الدواعي تدخل هذا في حكم الضرورات خصوصاً في المخالطة السياسية فانها تلجيء المتخاطبين أو المتخالطين الى التظاهر بمظاهر الاخوة والاحباب كما لا يعترض بمخالطة المستوطنين والمتنازين في كل قطر من اقطار العالم فانا قلنا ان ائتناس الانسان بمثيله فطري لا يحتاج الا الى مسالمة خفيفة كما ان هذه المخالطة لا تدوم الا بقدر الضرورة الا تراها كيف تذهب وتعدم عند محاربة امة لارض استوطنها اجنبي من تلك الامة المحاربة فانه يعود الى امته ويحمل السلاح على من كان جاره أو شريكه او اكيله ايام السلم والسكون وبالجملة فمن عند جحت سبل التناول عند امعان النظر يهذا الشكل عاقل شانه الوقوف على حقائق الاشخاص وملاعب الامم التي تقدمها الجاذبة الجنسية أو الدينية لقوم يعقلون

# المقالة الخامسة

## بمن أقتدي اذا أختلفت الآراء

أقتد بمن اذا أسبغت عليكم النعم كان مهنئاً معك واذا نزلت بك مصيبة كان معك معزي فان اخلاص النصح من غيره لا يتأتى الا اذا عاد لبطن أمه وولد مرة ثانية في أرض مس ترابها جسمك وليداً وخدمت في اصلاحها شاباً ودبرت شأنها شيخا . وكيف يقتدي العاقل بنازح عن داره وقد لطفت هواء وعذبت ماء وطابت مقراً وكثرت خصبا لم يرض مارضى به أباؤه واستهجن ما أستحسنه أجداده وقطع رحما يجب صلتها عليه وهجر عشيرة بين رجالها ولد وبين اظارها رضع وعلى عاداتها شب وبلغتها تكلم وخرج يضرب وجه الارض بنعليه ارتحالا لا يحمل غير كف الحاجة ووجه السؤال يتفيأ ظلال غني يستميحه أو وجيه يستجديه أو عظيم يخدمه أو أمير يتصيد بالانتماء اليه أو أبد الثراء لا يبالي في أية بلاد رمى سهمه ولا بأية يد تناول قوته فاذا أختلفت آراء من استضافهم في نازلة تقدح فيها زناد الافكار كان مع السيد التي تناولته من

ايدي الحاجة وانقذته من مخالب الفاقة يتقرب لربها باخيه بيعا واذلالا ويسترضيه بصاحبه استخداما وربما قرب اليه ذوي الارحام خدما وعبدانا طمعا في دوام صلة واستعظام عطية . ففر من هذا فرارك من المجزوم لئلا تتقرح بالعدوي فينفر منك الاخ ويجفوك الصاحب وينكرك العشير . وقد يكون هذا النازح ممن تجمعك واياه أصول بعيدة أوقريبة أوروابط من روابط الامم فيعطف عليك ويخلص في القول والعمل طمعا في صلاح شؤنه بصلاح شؤونك ولا يمكنك سبر غور افكاره الا بعد قلبك أوجه التجربة وصور الاختبار حتى اذا وجدته ثابت القدم في صحبتك صادق اللهجة في مخاطباته وجهته وجهتك في كل حالة كنت عليها يتألم بألمك ويسر بسرورك اتخذته عضداً ونصيراً وناصحا ومشيراً وأعتمدت عليه في دفع صدور الحوادث بقوة الحزم واتحاد الكلمة وتفارصت معه الاوقات لبلوغ المراد حيث لا مانع ولا دافع . فان اعترتك الايام بنزيل هذه صفته فذلك والا فعليك بمن اذا حلت المصائب وآب النازحون الى مقارهم فراراً من مشاركتك في همومك كان قسيمك في النكبات يتناوب معك حمل الخطوب ويحملك اذا

ضعفت ويبرك اذا احتجت ويعودك اذا مرضت وينصرك اذا خذلت ويدفع معك عدوا يحاربك ويحفظ معك وطنا لزمته ويصون لك عرضا تبذل الروح في حمايته . اليس المهاجر من وطنه خلف القوت أو الثروة كالدرويش الذي يقف امامك يبكي تارة ويتأوه اخرى ويحلف انه ما ذاق في يومه طعاما ولا مست يده نقودا ولا يمتلك غير ردائه وعصاه ثم يصعر خده ويلتوي التواء الافعى اظهارا لالم الجوع ويده ممدودة وعينه محملقة ولسانه طلق بالدعاء والشكوى حتى اذا نقدته درهما او دينار هش وبش ومال على يدك لثما وحلف انه صار لك عبداً وزودك دعوات بلفظ فخم يرتفع له الصدر وينخفض كانه من قلب مخلص وما ذلّ الا توسلاً ولا دعا الا فتحا لباب العود كلما مست الحاجة. ومن كانت هذه صفته يصرفه عنك الغير بلقمة يزيدها له وثوب يعطيه اياه فاذا زاده ديناراً على ان يقذفك ويهجوك اضحك الناس بما يفتريه عليك وابتدع لك عيوبا ليست فيك ونسب اليك اقوالا وافعالا تدنس المجد وتثلم الشرف. فالعاقل من اذا نزلت به النوازل اعتصم باخوان الوطنية وكان من آراء الغير على حذر ونحن معاشر الشرقيين في حاجة الى نقد

الافكار و تفتيش الآراء حتى فيما يصدر منا في الشؤن الاهلية لنبذ الضار والاخذ بالنافع فقد يصدر الرأي من انسان عن الاخلاص ويكون قد تلوث عليه المطالب فيخرج الرأى فطيرا يضرنا الاخذ به وان كان صاحبه لم يقصد الضرر ولا ينبغي الاعتماد على ذوي المظاهر العلمية والادارية قبل ان نعرض افكارهم على المبادىء والخواتيم فان الحائز لثقة الناس به كثيرا ماتدعوه العجلة للسقوط في وهدة الارتباك فيقول من غير ترو ويعمل بغير تدبير لعلمه بانه لا يعارض قوله ولا يقبح عمله وقد درست الامم الغربية هذه المقدمات وعلمت ماوراء الاقتداء بالنزلاء واهل الشهرة من الانحطاط فاعتمدت على مجالس شوراها لتستخلص من تضارب الافكار واختلاف الاحزاب قواعد لا تنقضها الحوادث وقوانين تلائم التابع والمتبوع و بقى بها دعائم الدولة قائمة على اساس متين ولم تتوصل لهذا المقصد الحسن الا باعتمادها على من يخوض لجج المنايا في حفظ وطنه من طامع في امتلاكه اوعاد على اهله . وبهذا التمحيض نجحت اعمالهم وقويت شوكتهم ونفذت سلطتهم وتخطت سطوتهم اوطانهم الي غيرها فتحا واستعمارا بقوتى العلم والعمل وعزيتى

الامة والحكومة وتوحيد وجهة الفريقين

وقد توالت الاعوام والجرائد تنقل لنا معاشر الشرقيين اخبار أولئك الفائزين وتشرح لنا من اعمالهم التى حيرت الافكار ولدهشت العقول ماساعدهم عليه تمحيض الراي وتوحيد الكلمة وتمحيض المتشاورين ونحن قعود على قارعة الكسل والتهاون نكتفي بالتفرج على الامم العاملة وتفرح بما نراه من فوزها ونغضب اذا تأخر فريق منها وقد انصرفنا عن مصالح اوطاننا وعمينا عن طرق تقدمنا وحيل بيننا وبين مجاراة هؤلاء العقلاء بسوء الاتقه من استشارة الفقراء ومفاوضة الضعفاء وان كانوا قد امتلأوا علما وكسوا نباهة فاذا عولنا على التشاور يوما جمعنا ارباب الاموال واهل الوجاهة من غير تخير العقلاء منهم ولا تمييز الاغبياء من الاذكياء وحشرنا هذا الشتيت في قاعة حبس لا يراهم فاضل ولا يسمهم خير فيحيصون حيصة تنجلى عن نكبات تجلب في صور مضار تدفع اومنافع تصنع وليس وراء هذا التقصير غير التدمير . ولئن قبل ان التجارب دلتنا على ان الشورى لا تنجح في الشرق او ان الشرقيين غير عقلاء كما يزعم محبو الأثرة والانفراد بالتسلط قلنا ان اتحاد الشرقي مع

الغربي في الخلق يرد هذه الدعوي الباطلة وانما ثابر الغربيون
على العمل بالشوري واخذوا يصححون الاغاليط ويراجعون
الخطا ويتبادلون الجدل عن عزائم صادقة حتى تربت الملكات
وتصورت المطالب امامهم بصور الواقعيات وما أوصلهم لهذه
الغاية الا اعتمادهم على الفضلاء والاذكياء منهم حتى اضطر
الاغنياء والوجهاء لدراسة العلوم والفنون السياسية التى بها
ترشحوا للدخول في اندية الشورى وما زالو يزاولون
ويبحثون في الامم والدول حتى قبضوا على ازمة الملك بعصبية
قوية ووقفوا امام ملوكهم حصونا تقيهم الفتن الداخليه والغوائل
الخارجية . فماذا على الشرقيين لو جاروهم فى هذه الطريق
وهى سهلة لا حزن فيها ولا وعورة ولا يلزم الدخول فيها اكثر
من انتخاب العقلاء والفضلاء وانسلاخ أهل الذاتيات من
التوجه الى الوجهة الاجنبية وجمع الكلمة على توحيد السير
فى مذهب وطني لنخرج من مضيق هذه المصيبة التي أصيب
بها بعض نبهاء الشرق من خدمة الاجنبي ولو ببيع الوطن به.
وما وضعهم فى هذه النقطة الذميمة الا التربية الاجنبية من جهة
وتغافل الملوك عنهم من جهة أخرى ولكنهم لو تعنوا لامر

وجمعوا كلمتهم على خدمة ممالكهم لامكنهم ان يستميلوا الملوك لارائهم النافعة ويستخدموا العظماء في المصالح التى تهدي اليها الاستشارة وتنقيح الآراء فان تيار الافكار والاعمال اذا انصب فى امة ساق المجموع امامه وشغل كل انسان عن سواه فتنصرف الافكار الى الوجهة التي جرى فيها والغاية التى ينتهي اليها فيكون كل عاملا مشتغلا بفرع من فروع الاصل الاصلاحي ولا تسعى الملوك خلف شيء غير اصلاح ممالكها وتقوى رعاياها على دفع العدو ومنع الخلل وتشييد دعائم المملكة بما يزيدها عظما وضخامة ويكسبها ثروة مدنية والا فما حظ الملك منهم من اختلاف آراء الامم وتخاذل الناس عن نصره والتجائهم الى الغير يخدمونه باضرار ملكهم والسعي في ازالة سلطانهم جرياً خلف الاوهام واغترارا بخداع الاجنبي وتمويهه وهم قادرون على تربية أبناء بلادهم على حب الوطن والملة والدولة وتدريبهم على الاعمال الادارية والحربية والصناعية وترقيتهم بقدر استحقاقهم وسد باب الاجنبي امامهم باعطائهم الحقوق الوطنية والملكية وتسليمهم الاعمال العالية التي ترشحوا لها واستعدوا للقيام باعبائها . فانهم ان فعلو ذلك ملأوا صدور

الامم محبة لهم واستمالوهم اليهم فكانوا أسهل انقياداً اليهم من رجال الاستعباد فان المستعبد يقاد اضطراراً وهذا يخدم اختياراً وشتان بين الحالتين وسنعود لهذا الموضوع ان شاء الله تعالى معتمدين على الشواهد القرآنية والاعمال النبوية مؤيدين ذلك بما كان أيام الخلفاء الراشدين ليتحقق الشرقي ان السلامة والنجاح فى الشوري وأخذ اراء المحنكين العارفين بالامم وأحوالها فلا يعود للوثوق برأى النازحين ولا الاغترار باقوال المحتالين ولا يقعد عن السعي خلف هذا المقصد الجليل الذى ماأخطأه قوم لادار العاقل منهم بين الناس ينادى من حيرته ويقول بمن نقتدى اذا اختلفت الآراء

## المقالة السادسة

### حرب الاقلام بجيوش الاوهام

معلوم أن الحرب المتداولة في العالم داعيتها تنسيدين و حب استبداد على الغير وقد تنوعت صور الحروب لاعدام الانسان بقدر ما توصل اليه قوة الاختراع وما عند المعتدى من حب الاثرة والانفراد بالسلطة فكانت الحروب الاولى

مضاربة بالعصى ثم مراشقة بالنبال ثم مطاعنة بالرماح ثم مجالدة بالسيوف ثم انتهت الى المراماة بالبنادق والمقاذفة بالمدافع وكل نوع اخذ له دوراً وأعدم خلائق لا يحصون كثرة وترك له في النفوس اقبح وقع وقد اخترعت الدول الآن نوعا أخف كلفةوا كبر تأثيراً وهو الايهام المحير للافكار الموقع في الارتباك والاضطراب فاخذت كل دولة تزيد في جنودها وتعبئ الجيوش وتحشدها في حدودها وتصدر الاوامر بعمل الاستحكامات وبناء السفن وتكثير الآلات واعداد المهمات ولا حديث لكل دولة بين وزرائها ونوابها الا الاستعداد للحرب حتي ان من نظر الى الاهبة التي عليها اوروبا الان وصور انها اثارت الحرب يوماً ما ايقن ان نصف العالم على وشك العدم ومعظم العواصم عرضة للدمار والخراب . ومعلوم ان كل دولة مطالبة بحق وأخذ ثار او متوقعة هجوم جارتها عليها فالخوف واقع في كل أمة من سكان الارض وليس هناك امة تبيت تحت سماء الامن حتي همج اواسط افريقية فانهم وصلتهم عدوي اوروبا وامتدت الاطماع فاصبحوا بين مخالب المنون بدعوى توسيع الاستعمار وتعميم المدنيه وقطع عروق

الجهالة والخشونة من العالم وهي عالل باطلة ودعاو كاذبة يمث
على افترائها حب الاستبداد من امم تدعى الحرية وهم لم يشموا
لها رائحة الى الان . وبهذا الاهتمام بشأن الجند والاساطيل
والحصون أصبح السكون يموج في بعض حدسا وتخميناً . ثم
برزفرسان الاقلام فى ميدان الارهاب والتحذير والايهام
والتخويف والانذار والوعيد فشغلوا الافكار وتركوا الناس
فى حكم الفوضي يتجارون على مكاتب الجرائد والتلغرافات
يتساءلون عن الاخبار اليومية والاقوال الوهمية وقدار تجفت
قلوبهم وبلغت الرهبة منهم مبلغ تصديق تلك الايهامات فخافوا
من تهديد هذا الوكيل ووعيد ناظر خارجية كذا وانذار دولة كذا
وزيادة الجند بين امة كذا كأن تلك الامور حقيقية محققة الوقوع
وما هى لا حروب وهمية التزمتها الدول تخفيفاً لمصرف الحروب
وحقناً للدماء . فان كل عاقل يعلم ان الدول موزعة المطامع في العالم
وكل دولة تري انها أحق باقليم كذا لكونه طريقها الى
املاكها والاخرى تقول بل انا احق به لكونه مجاوراً
لاملاكي وفيه مصالحي وهذه تقول ان هذا اقليمي وملكي
الشرعي يشهد بذلك فلان وفلان وبهذا التخالف لا يمكن

الامة أن تسطو على امة ولها رقيب يعارضها اومثيل يدافعها الا اذا اجتمع الدول على قسمة الكرة قسمة افراز وانعقد اجماعهم على تعيين النقط وتحديد الحدود فان المطامع تنقطع عند ذلك وتمتنع المعارضات خشية ان ينقض الجميع على المعارضة بحكم الاتفاق وهذه نقطة يعز الوصول اليها فان كل دولة تمني نفسها بانها ستكون مالكة للدنيا يوماما وما دامت هذه الافكار جائلة في رؤس رجالها فانه يستحيل الوصول الى مجمع الاجماع الان . الا ان بقاء الدول على ماهي عليه من تكثير الجند واعداد العدد مما يقطع العقل باستحالته لتحملها في سبيل تاييده وبقائه مايعود على ماليتها بالافلاس وعلى رجالها بالملل والسآمة فلا بد وان ياتي يوم فيه تخفف الدول أثقالها وتطارح عن عواتقها احمالاً اضعفتها ولا تصل لذلك الا باتفاق على سلم محدودة وهذا موهوم أو حرب اشتراكية وهذه هي مرجع الافكار غير أن العلة لم تزل في غموض ومعظم العالم يظنها القطعة المباركة الواقفة في باب أفريقية التي لا تحمل سلاحا ولا تريد قتالا وهي التي حركت العالم للمحالفات والمعاهدات باصبع من يريد ان يعبث بالدول ليتناول طاووس

الشرق بيد الصيد والقنص وقد اتخذ له كتابا ينازلون الضعفاء
باقوال الايهام والوعيد ليمكنوا الرهبة من قلوب من قصدوا
استعبادهم واذلالهم ظانين ان كل من تصوروه يقع في قلوب
الناس وهو وهم دعا اليه الجهل بحقائق العالم والاغترار باغرار
يقفون بابوابهم لايدرون لاية علة وقفوا ولا يعاب على طاووس
الشرق وجود افراد اوقعتهم الجهالة في حبالة الاوهام فظنوا
خلف السراب ماء وغابوا عن الحقوق المقدسة المكفولة
بضمانة الدول ولئن سكتت الدول ساعة فستقول اعواما ولئن
سكتت أعواما فستتحرك اياما فليبرق كتاب الاوهام
ويرعدوا حتى تنكشف الحقائق وترفع ستارة الاوهام عن
نار موقدة اوسلم دائمة قاعدتها رد الحقوق لاهلها ووقوف
كل دولة عند حدودها التي عينتها لها المعاهدات . وبهذا
نرى ان السكون أحسن ما تحلى به الشرقيون الآن دارجين
ايام المهددين خلف ظهورهم ضاربين باقوال المنذرين حائط
الاهدار منصرفين عن هذه الترهات الى ما يهمهم من التعلق
بملوكهم وامرائهم والتوصل الى حفظ الحقوق برعاية جانب
الدول والمحافظة على الامن العام وقيام كل عامل بعمله على قانون

العدل وطريق الاستقامة ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . وليعلموا ان مصيبتهم بهذا المبارزات قبضت نفوس اخوانهم في جميع الاقطار فعادوا للتساؤل فيما كانوا يسمعونه عن مهديهم من انهم محبون للأمة الشرقية مدافعون عنها لا يتعرضون لاضرارها ولا لاسلب سلطتها من سلطانها وامرائها وقد تبين لهم ان تلك الكلمات كانت بروقا خلبية وحيلا سياوية استمالوا بها النفوس وجذبوا القلوب حتي وقع في حبائلهم من وقع وقد انكشف الغطاء ووضح الصبح لذى عينين وأيقن الكل ان القصد الاستعباد بسوط الاستبداد . وحركات النفوس لا تزال تختلج في الصدور والقوة تمانعها والعوارض تدفعها حتى تخرج من مقارها الى ساحة حياة اوموت والكون شاهد عدل على تربية امم كثيرة تحت احضان امم أخري وعودتها لعز الاستقلال والتخلص من قيد الاستعباد . ومن هذا نعلم ان ضغط اوروبا على افكار الشرقيين ومسارعة ملوكها للتغلب على اقطارهم هو عين الحياة للشرق واهله وباعث المحافظة على الحقوق والمطالبة بها عند تمكنهم من فرصة الظفر فان اعمال اوروبا في الشرق ما هي الا دروس تعطى لاهله وتمرين على

الاعمال الجديدة وا مداد لقوي يكونها الاحتكاك في الافكار
اوالتربية تحت الاحضان . ولو لم تتداخل أوروبا في الشؤن
الشرقية بالتجول في هذه الاقطار والتغلب على بعضها ونقل
التجارة اليها. لنشر جرائدها بين قوم ما كانوا يعلمون شيئا من
احوال اوروبا لبقي الشرق على اغتراره بكلام اهل الاطماع
وظنه الصدق في اخبار مدعي الاستعباد وتوهمه الحق في
فعل ملوك الاستبداد وما كشف لاهل الشرق حقائق الاوهام
الا تلك المخالطة المباركة التي استفاد بها الاوربيون . الا واستفاد
الشرقيون منها علوما والئن تجزأت أقطارهم ووقع الكثير
منها تحت سطوة استعباد أوروبا ولم يبق الا رأس الجسم
الشرقي وقلب حياته فلسوف ترينا الايام من تدافع القوى
الفكرية في جميع الامم الشرقية مايحملها على الخلاص من ذل
الاستعباد بضغط المستعبد وسلبه حقوقهم واكراههم على
التخلي عما الفوه واعتقدوه فان الشرقيين ليسوا نوعا غير
نوع الانسان حتى يحكم عليهم بعدم مجاراة الامم التي خضعت
لغيرها بحكم الضعف والجهل حتى تربت وقويت مادتها
العلمية فحملتها على الرجوع الى ما كان عليه السابقون من

سكان ارضهم أحق بها وأهلها . وكاني بجاهل بحقائق الامم وكيفية تقويم الدول بالتربية والاختلاط يعترض على هذا الكلام بل يسخر منه اغتراراً بقوة من اشتروه بثمن نعل فنكل امره الى المستقبل حتى تناديه امم الشرق قائلة ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون . ولايظن جاهل ان تلك الحركات الشرقية ثورة عدوانية أو اضطراب فوضوى فانما هي قوة فكرية تمكنها منها حركات أوروبا بين دافع ومدفوع فيخلو الجو لامم الشرق تحت مراقبة الغرب يوم يساوي الشرقي الغربي في التصرف فى الامور بالحذق والدهاء والصبر على الشدائد ولئن استبعدنا حصول ذلك في قرن نحن في أوله كما يزعم الموهمون فاننا لا نستبعد ان تلد الايام من حوادث أوروبا مايمتعنا بزوال تلك الامنية عن قريب فكم فى بطون الليالي من بواعث لم تستعد لها أوروبا الآن وما دامت الاطماع تزيد والافكار تتوارد على الامم رغبة ورهبة فالسكون يكون نسبياً موقتاً بين الملوك وما علينا الا ان نقعد على بساط الامن متفرجين على العالم حتى تنتهي الدول الى مضمار الانبعاثات العدوانية وهنالك نرى

السابق من اللاحق ونتحقق من أحرز الرهان . وقعودنا بهذه الصورة يقضي بعدم ارتجافنا من الوعيد الوهمي وخوفنا من التهديد الخيالي والاعراض عمن يغمسون أقلامهم في نعمة الشرقيين ليكتبوا بها معايب لمن أغنوهم ويجلبوا بها مصائب على من آووهم فما يضرك الا رجل يدعي أنه أخوك ويزعم أنه شريك لك في الحقوق يناديك بلهجتك ليخرجك من بيتك ويسلمك الى النخاسين الذين طافوا الارض لاسترقاق الاحرار . فلو ترك الشرقيين والاوربيين لتمتع الفريقان بثمرة المخالطة وتمكنت منهما دواعي المحبة وتأكدت روابط الالفة بالاشتراك في المعاملة والمساكنة وما أوغر الصدور وأفسد النيات الا هؤلاء الكتاب الذين قبحوا الشرقي للغربي وافتروا عليه الاكاذيب وملأوا بها جرائدهم وكتبهم ونشروها بين العالمين الشرقي والغربي فظن الغربي ان الشرقي بهيم لا يصلح للملك ولا يليق الا للاستعباد والقهر وظن الشرقي ان الغربي عدوه الالد الساعي في سلب سلطته ونهب ثروته واعدام دينه واستعباد اخوانه فوقعت النفرة بهذه المفتريات وما زاد النار احتداماً الا بعض الشرقيين الذين استخدمهم الغربيون

باجرة لاتزيد عن ثمن نعل فاخذوا يبارزون من كانوا اخوانهم قبل ان يبيعوا أنفسهم ويوهمونهم بكلمات لاطائل تحتها فكانوا أشد على الشرقيين من الغربيين فهم الاعداء الالداء والخونة المادون فيجب على كل شرقي أن يحذر من فتنهم وينتبه لدسائسهم ويفتش كلامهم ليستخرج منه ماشابوه به من دعوى المماثلة في الجنس والموافقة في التابعة والمحافظة على المصلحة الشرقية تغريراً للمغفلين واستجلابا لقلوب الحمقى فانك لاتجد مصدقا لدعاويهم الا أن كان أبله أو معتوهاً وليست هذه الشرذمة قاصرة على فردين أو ثلاثة في أرض مخصوصة بل هي افراد منتشرون في الشرق والغرب يستهيجون الشرقيين بدعوى التحميس والتشجيع ويستدعون أوروبا بدعوي المحافظة على الامن والخوف من الحركات الدينية التي لايعرفها الشرقي وهي نصب عين كل غربي . وكم كتب هذا الفريق كتباً ونشرها بين الغربيين ليبيع وطنه واخوانه بلقمة يتعاطاها طيبة ويخرجها منتنة وبئسما اختاروا لانفسهم فان أظلم الناس لنفسه من يظلم الناس للناس

واذا ضلت العقول على علم فماذا تفيده النصحاء

فنحذر أخواننا الشرقيين من مقاربة المضلين ومخالطتهم ونطلب منهم أن يقرأوا عواقب ما هم فيه من الشدة وينظروا المستقبل بعين البصراء الذين لا تزعزعهم العواصف ولا تستميلهم الاباطيل وأن يجعلوا معاملة الاجنبي بالمعروف ومخالطته مخالطة المثيل نصب اعينهم مع التزام الهدو والسكون وعدم الميل الى الاوهام وما ينصبه الاعداء من اشراك الهيجان والاضطراب فانهم ان لزموا هذه الحالة قاوموا كل تهديد ووعيد واظهروا للاوروباويين بقصدهم وحسن تصرفهم في الامور قد قاوموا بقوة مدنيتهم حرب الاقلام بجيوش الاوهام

## المقالة السابعة

العدوى الاوروبية للبلاد الشرقية

من قابل بين بلاد الشرق قبل استيلاء الاوروبيين بها وقبل استيلاء بعض دول اوروبا على بعضها وبين حالتها الراهنة من حيث الآداب العامة رأى فرقاً كبيراً وتبايناً عظيماً فان الواقف على عادات الشرقيين وقواعد أديانهم يعلم ان المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين يرون تحريم الزنا من الجهة الشرعية

وقبحه من الجهة العقلية ويرون صيانة الاعراض من الواجبات ومع خروج نساء الريف مكشوفات الوجوه كنساء عرب البادية واليهود فانه ما كان يجرأ رجل على التعرض لامرأة بشيء يمس الشرف ولو وقع شيء من ذلك لهلك في الحال بايقاع اهلها به وربما أوقع به اجنبي منها . وكان الناس على اختلاف اديانهم يتحاشون وجود النساء معهم في المجامع واختلاطهم بهن في الافراح ويمتنع كل الامتناع دخول امرأة فى مجمع لهو . واذا لعب الهوي بعقل امرأه تركت بلدها واقليمها وسكنت في بلد آخر خوفا من فتك اهلها بها ولا يمكنها ان تنتسب الى اهلها او تخبر باسمها الاصلي بل تغيره وتدعي النسبة لغير اهلها ستراً عليهم وخوفا من عثورهم بها . ولا توجد بغي في بيت متظاهرة بالبغاء بل تستتر بقدر ما يمكن خوفا من علم الحكومة بها فان الحكومات الشرقية كانت محافظة على الآداب الشرعية والحقوق الشخصية فكانت اذا عثرت ببغي عاقبتها وابعدتها خشية ان يسرى ضررها الى جاراتها بافسادها عقولهن بما تغرسه فيها من تزيين البغاء وتحسين مجامع الفساق ومدح الغلمان وذم الاحتجاب

وغير ذلك مما تحتال به على هتك الاعراض واخراج المخدرات
الى الطرقات بالحيل والايهام . فكانت الاعراض مصونة
والرجال آمنون على بيوتهم غابوا أو حضروا لعدم اشتغال
أفكارهم بشيء يشوش عليهم من جهة النساء واذا سافر
أحدهم سفراً بعيداً أو قريباً اوصى جاره على بيته فيتعهد أهله
وأولاده ويقضي حوائجهم ويغار عليهم غيرته على اهله ويحافظ
عليهم محافظته على بيته وعرضه وربما جاور الرجل اخاه من
الصغر الى الشيخوخة ولم يتفق له ان رفع بصره لشباك اخيه
مرة فضلا عن تعرضه لحرمه وكان الرجال المسلمون ابعد
خلق الله عن الخمر والاسرائيليون لا يشربونها الا في
الاعياد والمسيحيون لا يشربونها الا القليل في أوقات
مخصوصة أما نساء الاديان الثلاثة فانهن ما كن تذوقها
ولا [illegible] الرجل [illegible] اذا [illegible] ما ابعد السكر
للمرأة الا الافتضاح والميل الى البغاء . فلما دخل الاوروبيون
في البلاد الشرقية بالتجارة والتغلب أفسدوا اخلاق الرجال
والنساء بما أدخلوه فيهم من مسمى مدنيتهم التي هي الرجوع
الى البهيمية حيث دخل الشرف الكثير من نسائهم البغاء!

وفتحت المحلات جهاراً وتعرضن للشبان والكهول في الطرقات وتزين باحسن ما يمكنهن وخرجن يعرضن انفسهن على المارة في الطرقات فاستملن عقول الشبان ثم جذبن ضعفاء العقول وما زلن يتنقلن من صورة الى أفظع منها حتي دخلن البيوت زائرات فافسدن أخلاق كثير من النساء الشرقيات ثم اتخذهن الفساق وسائط فلبسن الملابس البلدية ودرن في بيوت الاحرار فعمت البلوى وأخذ نساء الشرق يتجرأن على الخروج من البيوت سراً ثم تظاهرن فخرجن جهراً ثم تمادين حتي صارت المرأة تترك زوجها وتفتح لها محلا في بلده أو حارته وانتهي الامر بشرب النساء الخمر فزاد التهتك وضاعت أعراض كثيرة وافتضحت مخدرات وذهب مجد بيوت عالية بخروج بعض نسائها عن حد الامر المشروع ثم ترقى العجوز الى أن صار النساء يحضرن مجالس اللهو ويذهبن الى التياترات ويرقصن في لباللو بأنفسهن بحضور ازواجهن ويشربن الخمور في المواخير ومجامع الاوباش وهم بحضرة رجالهن وصار الرجل لا يأمن أخاه على زوجته والجار لايخاف لا من جاره ووقعت الشبهة على كل مار في الطريق

واصبح اصحاب الاعراض النقية في حروب شديدة بما يقاسونه من السعي خلف الصيانة والحفظ والخوف من الانحدار في في هذا التيار القبيح الذى جرف البيوت المقفلة على من فيها فهدم اسوار صيانتها وزلزل أركان عفتها وتركت من كان فيها كالدر فى الصدف مبتذلا بين الناس معرضاً للفساد . وقد وقف الناس على اسرار بعضهم فحدث كل صاحبه بمن يعرفها من النساء وما فعله من القبيح وأخذ كل يشيع ماسمعه عن امرأة غيره وهو لايدري ان غيره يشيع على امرأته ماهو أشنع وأفظع وقد تهاونت الحكومات الشرقية في هذا الباب تهاون الراضي بهذا الابتذال وربما رخص بعضها فيه بأمر وعالج البغايا الزناة باطباء من [illegible] بدعوى المحافظة على الصحة ولو حافظت على الاعراض لما وقعت في [illegible] . وقد [illegible] حتى صاروا يكذبون فى أعراض الطاهرات المصونات كذبا وافتراء ويرمونهن [illegible] وعدوانا وصار البغايا كذلك يسمون [illegible] باسماء نساء البيوت العالية [illegible] الطيبة البريئة من هذه [illegible] وهذه أمور لم تكن معهودة في [illegible] قبل تجول الغربيين فيه . وكنا

نتألم نحن معاشر المصريين من هذا العيب القبيح والخروج المذموم ظنا منا أن ما ادخله الافرنج في بلادنا من المصائب لم يصب به غيرنا ولكننا علمنا من أحوال تونس ماهو أقبح وأشنع فعلمنا ان ذلك امر مقصود لكل دولة أوروبية حلت بلادا شرقية لحل عروة الدين التي هي العروة الوثقى في الجامعة العصبيه والالتئام فقد رأينا فى جريدة الزهرة التونسية حال كلامها على الحكومة الفرنساوية مانصه « وليس لها من مأثرة حميدة تذكر أو صنع جميل يشكر سوى تكاثر الفواحش والفساد والاضرر بالعادفمنذ تغيرت الهيئة البلدية السابقة عظم مصاب المومسات ، وربيات وتفاقم خطب انتشارهن بين الحرائر في معظم الشوارع المتسبرة وفي حارات الاهالي وكثرت أسواق الفجور واشتدت وطأة انتصابهن بالشوارع وابواب دكاكينهن وتجاذبهن أثواب العابرين واتسع خرق اعتدائهن على الجيران والعبث براحتهم بالوان المنكرات آناء الليل وأطراف النهار وما لجيرانهم من ظهير ولا نصير يقدمون العرضحالات ، لا يجاوبون ويشتكون ولا يسمعون وكيف يرجي الاصلاح من ادارة مهملة مستبدة معتدية على القوانين

لا دأب لها الا استخلاص الفرنكين ونصف معلوم الاختبار الطبي من سا كنات حوانيت مصدرة بفرش لا تبعد ذراعين عن أبوابها بدون أن تأخذها في هذا العار لومة لائم » وبعد كلام طويل في الادارة وسوء أعمال الاجانب فيها قالت « وطالما كتبنا المقالات المسهبة والاستلفاتات المطولة وبينا سوء الحالة الراهنة وهتك الادارة البلدية لحرمات النظامات والعوائد بإباحتها للمومسات السكنى حيث يشأن واحداثها اسواقا للفسوق بأحسن مراكز واهم شوارع مدينة توفرت فيها محاسن المدنية وحافظ هاما على قوانين الحياء والآداب العامة فلم تكترث بشيء من ذلك ولم يزدها الا عنادا وكأن لسان حالها يقول » اني افعل ما شاء واخالف القوانين والعاجزون لا بد ... طالت في هذا الموضوع بما يوقف كل شرقي على ... وجهة الاوربيين في افساد ... الشرقيين وعقولهم واذهاب اموالهم ومعتقدهم بما يدخلونه عليهم من هذه المصائب والدواهي ولكننا معاشر المصريين لم ندخل تحت الحماية لا كما كان دخول تونس تحت الحماية الفرنساوية فاذا يمنعنا من المحافظة على الآداب والقوانين الشرعية فيما يختص بالعرض وصيانته

ونبعد المومسات والبيوت السرية عن مساكن الاحرار ونحجر على كل امرأة ذات بعل أو بيت شريف الوصول الى البقعة النجسة التي تتعين للبغايا ونشدد العقاب والنكال على من هتكت حجاب عفتها من أي بيت كانت ردعا وزجرا وحفظا لذوات المجد والشرف . ومن يرى مانعا من ذلك والاوربيون عند اختلاطهم بنا لم يشترطوا علينا التخلي عن بعض أحوال ديننا والتنازل عن عوائدنا وشرف بيوتنا وانما كان ذلك بتهاون الرجال في خروج النساء من البيوت وتغاضي الحكومة عن امتداد القبائح وانتشارها والتوسع للنساء في المجامع وأماكن الملاهي وابتذال الرجال في السكر وسهرهم في البيرْ والخمارات وبيوت العاهرات وتركهم نساءهم يتقلبن على جمر الانتظار حتى وقع الملال وجر الى الخبل والخلل ثم الى تكاثر العلل والتعود على الزلل وأصبحت الطرقات ممتلئة بالمومسات في صور الحرائر وفتحت القهاوي لرقص الشرقيات بين أهلهن والاجانب واسود وجه المجد بما يسفه أحلام الشرقيين ويلحقهم بالقرود فى التقليد الاعمى . فنحن نقسم على الحكومة بما علمته من شرف الصيانة ومجد الاحتجاب وما متعت به

رعاياها قبل ذلك من قطع عروق الفساد وعقاب الزناة
واصلاح شأن الشبان أن تفيثنا بتدارك الخطب قبل أن
يقع فيه العظيم والحقير ويرجع الناس الى البهيمية بمزج الانساب
بطريق العيث والافساد ووقوع البلاد في مصائب الذارث
بالتبسح الى درجة لا يمكن تداركها فانا نرى هذا الامر يزيد
كل يوم بقدر ما كان يحصل منه فى قرن قبل هذه الايام
السوداء . ولا يعز على الحكومة اتخاذ طرق الصيانة وكف
البغاة عن اعراض الحرائر وهي في قبضة الامير الغيور على
الحرمات حضرة الخديوي الافخم مولاي الشهم عباس باشا
الثاني ولا هم له الا اصلاح شؤن بلاده وتقدم الامة في
الاداب وحفظها من كل مايثلم الشرف وقد عهد الى وزيره
الشهير بصدق الوطنية ذي الدولة رياض باشا الذي يهمه فى
هذا الشان مالا يهم غيره لشدة غيرته على آداب الامة وصيانة
حقوق أهل البلاد المقدسة . ونحن على يقين من سماع هذا
النداء واجابة الطلب فقد اتسع نطاق الفساق وراجت أسواق
الفسوق وغفل الشبان الاغرار عما وراء ذلك من ضياع المجد
وسوء المصير اذ لم يجدوا زاجراً يردعهم عن غوايتهم و ردهم

الى ماهو الانفع الاصلح لهم خصوصا أبناء الاغنياء الذين شبوا على السرف والتلف وبعدوا عن طرق الكمال واسترسلوا خلف الشهوات اذانهم لم يتعبوا فى تحصيل شيء مما ينفقونه حتى يعرفون قيمته وانما جمعوه آباؤهم من وجوه شتي فتسلط عليه هؤلاء السفهاء الاغبياء بالصرف فيما يجب العار والنار وأبقوا لهم السؤال عنه يوم لاينفع مال ولا بنون فمايهم ان يساعدوا الحكومة بالحجر على ابنائهم والتجسس عن أحوالهم وزجرهم بما يردهم عن هذا الطريق الممجي وكفى مافات فقد ضحكت علينا الامم كل مايضحك به على الاطفال ونحن عن مقصدهم ساهون . نخدم ونصنع ونزرع فاذاحصلنا شيئا من المال صرفناه للاجنبي والاجنبية حتى أصبحوا اغنياء واصبحنا فقراء وكل ذلك طرأ علينا بعدم المحافظة على عوائدنا الدينية والوطنية وتهاون القادة وتساهلهم والدواء غير متعذر اذا بحثت الحكومة في هذا لامر العظيم وحافظت على المال والعرض بوضع الحدود والاوامر النافذة ولا نلبث ان نراها اجتهدت وفعلت وما ذلك على الله بعزيز

## المقالة الثامنة

### الطرق وما فيها من البدع

لاتزال هـذه الطوائف تبتدع أموراً تضحك السفهاء وتبكي العقلاء وتحتال لمطامعها البهيمية بما جلب العار على الامة وسلط علينا الاجنبي يهزأ بديننا ويقبح اعمالنا ظنا منه أن ما يجريه هؤلاء الجهلة من الدين . فقد كتب جون بول صهر عبد الله كاليم مسلم ليفربول كتابا يرد به على صهره وجعل الرد وسيلة للطعن في الدين الاسلامي باعتبار ما قال بالاستدلال على بطلانه باعمال هؤلاء الجهلة فقال ورأيت في مصر درويشا كان معتقدا وله مقام يجتمع عنده الناس في مولده حتى الخديوي وهناك يرى الانسان المسلمون يرقصون ويطبلون ويزمرون ويقولون أموراً فارغة [illegible] وهي أمور [illegible] الخ ما قال فهلا اتخذ الناس طريقة لا [illegible] والعقل غير هذه الطريقة الشنيعة وهلا رجع هؤلاء الجهلة عن بدعهم والتزموا طرق أشياخهم الذين يدعون انهم على آثارهم وما هم الا في أيدي الشياطين يلعبون بهم كيف يشاؤون أين [illegible]

الباطن التي هي مدار الطريق وأين الخمول مع هذا الظهور وأين التواضع مع ركوب الخيل والبغال يقدمها الطبل والمزمار كأن الخليفة مأمور مركز أو ضابط بلد واين البعد عن الناس مع هذه المزاحمة الدنيوية وأين البعد عن الرياء مع الوقوف بين مئات الالوف تمايل وتلوي وأين الارشاد مع هذه البدع وأين الاشياخ اذا أردنا السلوك ومن نراهم رجال اتخذوا الطريق وسيلة معاشية أما آن لهذه البدع أن تموت ولهؤلاء الجهلة أن يتنبهوا ويعلموا انهم بين أمم ينظرون اعمالهم وينتقدون أحوالهم ويكتبون عنهم ما يكتب عن الهمج وسكان البوادي . أن الطريق المسلوك لانموم مبني على الاخلاص في العمل وحب الخلوة والبعد عن الناس والصمت عن اللغو وملازمة الذكر ومداومة السهر والتهجد فيه والزهد في في أيدي الناس والتمسك بالسنة والارشاد الى الطريق المستقيم وأين هذه الاصول الشريفة مما نراه الآن من الخروج عن الحدود واستبدال السنة بالبدعة وترك الشرع بهوى النفس والطامة الكبرى دعوى بعض الاشياخ وانتحاله ما يضر بالعقيدة واضلاله العامة بما ينقله اليهم عن بعض الصوفية مدعيا وصوله

اليه من طريق الفتح أو الالهام فقد كثرة النحل والبدع وسمعنا من أقوالهم ماليس من ديننا ولا يقول به أهل دين آخر اللهم الا عند البوذية من المجوس فان لهم أقوالا تشبه أقوال القائلين بوحدة الوجود وهم لايدرون معني القول بالوحدة فقد رأيت طائفة بكفر الشيخ طلحة من بلاد مديرية الغربية تدعي هذه الدعوى وتقول كل شيء فى الوجود هو الله وسمعت من أكبر شيخ فيهم تفسيراً لبعض آيات قرآنية لايقوله مجنون ولهذه الفئة الضالة دعا ولاتنطبق على كتاب ولا سنة ولولا مانرجوه من رجوعهم الى السنة وتركهم هذه الاباطيل لاتينا على ماسمعناه منهم وسميناهم رجلا رجلا وعرفنا الناس حيلهم التي يصطادون بها ضعفاء العقول ومن لم يقرؤا العقائد التوحيديه وان تمادوا فى بهتانهم وافترائهم على الله ورسوله اضطررنا لكتابة رسالة في عقيدتهم وفسادها وأوردنا أقوال أهل السنة فيها وتكفيرهم القائلين. وما الكلب والخنزير الا الهنا. والقائلين. انا من أهوى ومن أهوى انا. ولا ندري بأية يد ندفع اعداء هذا الدين اذا كان في داخليته مثل هؤلاء ولقد علمنا ان أحد معتبري الانكليز

دخل جامع القلعة وقد اجتمع جماعة من أهل الاهواء فرآهم يرقصون ويصيحون صياح جنون فقال لترجمانه ماهذه الغوغاء ونحن نعلم ان صلاة المسلمين في غاية الخشوع والآداب فقال له ترجمانه أن هذه أكبر صلاة عندهم يريد تنفيره من الدين الاسلامي ولقد حكي هذه الحكاية فاضل من فضلاء المصريين وقد سمع الترجمة باذنه وقالها للمغفور له المرحوم توفيق باشا وترجاه في ابطال هذه الامور الفظيعة . وحكي لي شاب من اذكياء شباننا ان الافرنج جميعا يعتقدون ان مايصنع في دورة السيد وزفة الخليفة بطنطا والموالد أمور دينية وانها من قواعد الدين الاسلامي وأصوله والدين بريء من نسبة هذه البدع اليه فان سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معلومة محفوظة اذ لم يترك الحفاظ وكتاب السير شيئا من أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته الادونوه وجاء الخلفاء الراشدون ومن عاصرهم على اثره صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك جاء الصوفية المتقدمون على هذا الاثر فلما تشيخ الجهلاء في الطريق التزموا البدع وجاء من لهم المام بكتب القوم فانتحلوا أقوالا لا يعرفون معناها وعلموها لجهلة لا يفقهون فضلوا وأضلوا وحيث ان

العامـة لا يعرفون شيئاً من اصول الطريق ولا يفرقون بين
الشيخ المحق والشيخ المبطل فسنكتب كتابا في هـذا الباب
نبين فيه الطرق الاربعين وأصولها وواضعيها ثم نبين أشياخ
عصرنا ونحلهم ودعاويهم وما يصيدون به العامة من الخيالات
والاوهام هـذا اذا لم يظهر مبطل للمناضلة عن بهتانه فاننا
نضطر للرد عليه في الجريدة وننشر معتقده بين عامة المسلمين
لئلا يقعوا في حباله كما وقع ضعفاء اليقين الذين تصيدهم بحبال
الاوهام . ولنا أمل عظيم في سماحة صاحب الفضيلة السيد
محمد توفيق افنـدي البكري أن يسعى في اماتة هذه البـدع
واحياء السـنة فانه ابن المعارف المتضلع من العلوم العارف
بالسنة وحقائق الطرق ويسره ان يرى الامة بعيـدة عن
الخرافات لما له من قوة اليقين وحب السنة الطاهرة ويكفي
قول الافرنج لنا كرنفال في السنة ولكم في كل مولد كرنفال
ولبس القصـد ابطال الطرق نفسها فانهـا من أحسن
طرق التعليم الديني والتربيـة الادبيـة فان الشيخ عند ما يلقن
المريد لااله الا الله محمـد رسول الله يشرح له معناها فيبين
له صفات الله تعالى وما يجب له وما يستحيل عليـه وما يجوز

وما يجب للرسل وما يستحيل عليهم وما يجوز ثم يبين له كيفية
الصلاة وترتيب العبادات وليس في تعلم الدين عن العلماء أكثر
من هذا للعامة ثم يعلمه الآداب الواجبة واللازمة فيه تفقه
على ما يعامل به اخوانه وأهله وجيرانه وما يعامل به من
يغايره في الدين وما يعامل به الحيوان ثم يعرفه فضيلة الكسب
والسعي على العيال ورذيلة التكفف وسؤال الناس وهذه
أمور من أحسن ما يتخذ لتهذيب النفوس وتعليم الدين فلو
لزمها الاشياخ كما لزمها واضعوا الطريق لاهتدى بهم خلق
كثير وخدموا السنة خدمة يثابون عليها من الله تعالى ويشكرهم
عليها كل مسلم . وكذلك تجمعهم في الموالد فانه مظهر ديني جليل لم
يتفق لغير المسلمين ولكن اذا أبطلت البدع واجتمع الاشياخ
بمريديهم يذكرون الله تعالى ذكرا شرعيا ليس فيه اللام لا الله ولا لوها
الا الله ولا الاوه الا الله ولا آل بلام مغلظة ولا أن له ولا آلله بهمزة
الاستفهام ولا آه ولا هه ولا اها ولا اه الله ثم لا يكون معه
رقص ولا أكل نار ولا ضرب دف ولا أكل ثعبان وزجاج
وصبر ولا صياح ولا اختباط ولا وضع صابون في الفم ولا نطور
ولا ضرب بالاوندي ولا ناي ولا ضرب باز ولا مزمار ولا

نقرزان ولا وضع دبوس في الذراع ولا ضرب سيف ولا شيء من هذه البدع السيئة فاذا خلت المجالس من هذه المفتريات وعاد الناس الي ما كان عليه السلف الصالح كانت الطرق محل اعتبار وجلال ومرجع هدى وارشاد وانتفع بها المسلمون انتفاعهم بالاخذ عن العلماء وعمت منفعتها العوام فانهم أحوج الناس الى التعلم ولهم حسن اعتقاد في الاشياخ . وكيف الوصول الى ذلك وغالب المسلكين جهلة لا يعرفون العقيدة الاسلامية الا سماعاً وتقليداً وربما كان في مريديهم من هو أعلم منهم والعارف فيهم لا يعتقده الجهلة لكونه لا يدعي كرامة ولا يقول لمريديه كنت اليوم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا أفيض علي من العلوم كذا ولا عارضني فلان فحصل له كذا وكذا ولا رأيت في اللوح المحفوظ كذا مما هو جار على ألسنة المبطلين الضالين فلو تصدى سماحة شيخ مشايخ الطرق لتنقية هؤلاء الناس ومنع الجهلاء من اعطاء العهود حتى يعرفوا العقيدة لأفاد الدين أعظم فائدة ولخدم الامة خدمة لم يشاركه فيها غيره ولخلد له ذكراً جميلاً واستحق من الثناء والمدح ما هو أهله

## المقالة التاسعة

### محاسن امير المؤمنين أيده الله

من علم أحوال دولتنا العلية وما كانت عليه قبل أن يحلى كرسي الخلافة بجلوس سيدنا ومولانا سلطاننا الاعظم وخليفتنا المفخم السلطان عبد الحميد ايده الله تعالي وقابل بين تلك الحالة وما آلت اليه الآن من التقدم والنمو عرف قدر هذا السلطان المؤيد بالعناية الربانية ووقف على بعض ماله من المكارم والمناقب الحميدة فقد تعلقت أرادته السنية بجعل التعليم اجبارياً في جميع بلاده وفتح في كل بلد وقرية مكاتب ابتدائية تعلم الخط والحساب والقرآن الشريف والفقه والتوحيد وشدد في اقامة شعائر الدين من الصلاة والصوم بحيث تجبر التلامذة على أداء الفرائض وبهذا السعي الحميد لا يمضى على بلاده العامرة قليل من الزمن حتى تقطع منها عروق الامية وتنتشر المعارف في جميع انحائها وتنهض الامة امام الامم نهضة الباحث عن مجده المجارى لامثاله المحافظ على سلطانه القائم بخدمة وطنه وهذا سعي ما مشي فيه أحد قبله من الخلفاء فقد علم حفظه الله

تعالى ان لاقوة الا بالعلم ولا نمو للامة الا بمعارفها ولا تقدم للتجارة والزراعة الا بالعلماء فجعل وجهته الشريفة تعميم المعارف بالتعليم الالزامي توصلا لسعادة الامة . ومن محاسنه سعيه في عمارية كثير من الاقطار الطيبة التربة الخالية من السكان باعطائها لاناس من الجركس والعرب والكرد مادا يد المساعدة باعطاء ما يلزم من الآلات والماشية وجعل ذلك دينا يفيه المدين عند ثروته بان يعطى خمس محصوله ليخصم من دينه وكذلك أعطى أراضيه الواسعة للفلاحين على أن يأخذ منهم خمس المحصول في مقابلة الايجار وما يأخذونه من النقود اعانة لهم وبهذا عمر كثيراً من الاودية والاقاليم التي كانت جنة وأقفرها الاهمال كمعمورة العزيز والبلقا والكرك وتخوم حوران وبامتداد هذه العمارة لانلبث أن نرى البلاد العثمانية نامية بالغة من العمران أحسن ما يرجي . ومن محاسنه فتح المجالس والمحاكم والتسوية بين رعاياه في تنفيذ قانون في كل خاضع لحكومته السنية من مسلم ومسيحي واسرائيلي لا فرق بين تابع وتابع وقد رفع بهذا القانون وترتيب المحاكم يد الاستبداد عن العباد فأصبح كل تابع للدولة حراً في عمله متمتعاً

بحقوقه وهذا الذى غرس محبته في قلوب رعاياه مع اختلاف الجنس والدين . وما يتشدق به بعض المنافقين فانما هو اداء لما استؤجروا له من المفتريات والا كاذيب لاِيغار الصدور واثارة الفتن . ومن محاسنه تقريبه العلماء من مجلسه العالى استجلاباً لخواطرهم واستعانة بأفكارهم وفتاويهم وقد انتقى لهذا المجلس كل عالم محقق وصالح تقي وشريف نقي كصاحب السماحة والفضيلة والسيادة السيد أبي الهدي الشريف الحسيني الصيادي فانه من افضل الفضلاء الذين حازوا فضيلة العلم والسياسة بما له من حسن الاستعداد وقوة الادراك وسعة الاطلاع وغزارة مواد الادب وصدق الفراسة وقد وقف حياته الطيبة على خدمة سلطانه الاعظم ودولته العلية موشحاً سعيه الجليل بالمحافظة على الشريعة الغراء واحياء السنة ومساعدة الضعفاء والسعي لذوي الحاجات على اختلاف طبقاتهم واديانهم حتى استحق المنزلة التي انزله فيها مولانا امير المؤمنين لما رآه من اخلاصه وعلو مقامه وصحة نسبه وكثرة فضله فاصبح ممدوحا بألسنة الاهلين والاجانب لا يؤثر في علو رتبته ولا يحط من مقامه شيء لما له من المكانة العظمى عند

جميع الناس ولطهارته من دنس الذاتيات ووضر الضرر وتجمله بمكارم الاخلاق واحاسن الصفات . ومثل السيد جمال الدين الافغاني الشهير الغني عن التعريف فانه رجل جرب الامور وساح الاقطار وخالط الامم وداخل السياسيين ودرس التاريخ الحاضر والماضي وأمتد باعه في العقليات فاصبح امة وحده بين ذوي الفضل وهذا الذي دعا مولانا الخليفة الاعظم لاستدعائه وادخاله في لفيف العلماء اخاص بمجلسه العالي فقد اهلته المعارف والتجارب والمخالطة العامة لمسامرة الملوك والنظر في السياسيات العالية وهذا كله من فضل السيد الاعظم حفظه الله تعالى . ومن محاسنه ايده الله تعالى بسط الامن في جميع انحاء المملكة وسهره في تطلع اخبار الامم والنظر في شؤون دولته ومشاركة الوزراء والامراء في جميع الاعمال السياسية والقضائية والادارية وبحثه في التجارة والزراعة وما به تتقدم البلاد حضارة وخصباً وعمارية

# المقالة العاشرة

## صبر جميل

بارت تجارة الاجراء فلم يجدوا طريقا تنفق به سلعتهم الا السعاية من جهة والحط على الامراء الصادقين في الخدمة من جهة أخرى ولما لم يفدهم ذلك ارجفو بان محرر الاستاذ سيبعد عن مصر اقعادا لهمم المشتركين وسداً لباب تحصيل قيم الاشتراك فنحن نادي في مشارق الارض ومغاربها انا من رجال الهيئة الوطنية المشمولين برعاية الحضرة الخديوية وحياطة الحكومة المصرية لا ننطق بكلمة ولا نتحرك حركة الا وهى اعلم بها وكذلك رجال بريطانيا العظمى يعلمون من حركاتنا وسكناتنا ما هو مقرر بالتقارير المتتالية ممن لا نخطو خطوة الا وهم على أثرنا ولم نزد في جريدتنا على النصح وتقبيح القبيح وتحسين الحسن وهو الذي تريد انكلترة ان تهدينا اليه ولا ينكر احد ان حرية المطبوعات انتهت في مصر الى ان يطعن الاجراء في المصريين طعناً شخصياً ويقبحوا اعمال من يرون صرف الافكار عنه لا يبالون في اي عظيم كتبوا ولا

بأية عبارة نطقوا ولا يليق بدولة عظيمة كدولة بريطانيا ان تحجر على زيد ما اباحته لعمر او ان تبعد سيبويه لتنفق بضاعة نفطويه وعلى كل فان ما أرجف به المرجفون من ابعادنا عن أوطاننا محض افتراء وكذب لا يكون فى حكومة نظامية مقيدة بمجالس قانونية لا تستبد عليها بفعل من الافعال واذا دار انسان على دوائر حكومتنا السنية وسأل عن هذه الاشاعة فانه لا يجد لها اثراً ولا خبراً عند أصاغر الخدمة فضلاً عن الامراء الفخام وهناك يعلم ان المرجف بهذه هو المرجف باغلاق الاستاذ اولا ونفى صاحبه ثانيا على ألسنة امثاله في الارياف والمدن وكلما زادونا ارجافاً وسعاية زدناهم احتراماً واعذاراً ووقفنا أمامهم وقوف الجبل في مهب الرياح ولنا فى مثل هذا المقام قصيدة قلناها في الاختفاء وقت [illegible] الجواسيس [illegible] الاراجيف [illegible] الاخوان وداخلهم الخوف والرعب وثبتنا امام تلك الزعجات وأخذنا ننشدها محاربة للنوائب واظهاراً لما في الطوية من الصبر والثبات واذا كان استاذنا ذاك في حالة الشدة فيرى المرجف انه يحرك منا ساكناً بارجافه في وقت الرخاء ونحن بين يدي

امير حكيم خبير باحوال رعيته ووزير خطير هو ادق الناس في اختبار الناس ومعرفة ما هم عليه ولنورد بعض القصيدة هنا ترويحاً للنفس وتذكيراً بام التجلد للمحن والنوائب وقد انشدناها توسلا بالجد الاعظم صلى الله عليه وسلم هي

اتحسبنا اذا قلنا بلينا ... بلينا او يروم القلب لينا
نعم للمجد تقتحم الدواهي ... فيحسب خامل أنا دهينا
تناوشنا فنقهرها خطوب ... ترى ليث العرين لها قرينا
سواء حربها والسلم انا ... اناس قبل هدنتها هدينا
سررنا بالصلى والبشر باد ... وكي السر يستدعي الانينا
ومرضعنا فنبنا بصبر ... مرير حين مازجنا حلينا
فطمنا بالثماء على ثبات ... فصمنا عن شراب الجازعينا
اذا ما الدهر صافانا مرضنا ... فان عدنا الى خطب شفينا
لنا جلد على جلد يقينا ... فان زاد البلا زدنا يقينا
ألفنا كل مكروه تفدى ... له فرسانه بالراحلينا
فاعيا الخطب ما يلقاه منا ... ولكنا صحاح ما عيينا
صلينا يا خطوب فقد عرفنا ... بأنا الصلب صانا أو صلينا
وقري فوق عاتقنا وقولي ... نزلت اليوم اعلى طور سينا

علينا للعلا دين وضعنا عليه الروح لا الدنيا رهينا
فهل يمسي رهين في سرور وهل تلقى بلا كدر مدينا
اذا ما المجد نادانا أجبنا فيظهر حين ينظرنا حنينا
يغنينا فيلهينا التغنى عن الباكي وينسينا الحزينا
ولسنا الساخطين اذا رزئنا نعم يابقى القضا قلبا رزينا
فانا في عداد الناس قوم بما يرضى الاله لنا رضينا
اذا طاش الزمان بنا حلمنا ولكنا نهمنا ان [illegible] نهينا
فبيت المجد يهدمه التغابي وزند الفضل ينقدح اذا أبينا
وانا والورى قسمان لكن اذا ماتوا بنازلة حيينا
وان لاذوا بعترتنا ضعفنا فان رفعوا أنوفهم قوينا
وان شئنا نشرنا القول درا وان شئنا نظمناه ثمينا
وان شئنا سلبنا كل اب وان شئنا سحرنا الناظرينا
وسطرنا يناجي كل حبر [illegible] ويعلي الكاتبينا
سلوا عنا منابرنا فانا تركنا في منصتها فطينا
لحكمتنا تقول اذا هذرتم الاهي بصحنك فاصبحينا
ورثناها عن الآبا بحق فان سرنا نورثها البنينا
بعيد ان يرى حبر غبيا [illegible] عثرة [illegible] هجينا

سرى فينا من الآباء سر يسوق البر نحو المعوزينا
فان عشنا منحنا سائلينا وان متنا نفحنا الزائرينا

ومنها بعد التخلص والمديح

أأنسي يوم مصر والبلايا تطاردني ولا القى معينا
فكنت الغوث في يوم كريه اخاف الشهم والحبر السمينا
مدحنا فيه في اشراق شمس فلما جاء مغربه هجينا
وهل انسى هجوم الجند عصرا بلا علم وقد كنا لجينا
احاطوا بي وسدوا كل باب وصرنا بين ايدي الباحثينا
وكان السطح مملوءا بجند وخلف البيت كم وضعوا كمينا
فادركت الوحيد وكان صيد قريباً من فخاخ الطالبينا
وأرشدت النديم الى مكان راه بعد حيرته مكينا
واعمى الله عنا كل عين وكنا للعساكر ناظرينا
وصرنا فوق سطح فيه علو يحطم هاوياً منه متينا
فلم ارهب وثوبي من طمار ولم انظر شمالا أو يمينا
ويوم الغيظ كنت لنا مجيرا بسطوته من البلوى حمينا
فقد كنا بلا ستر يرانا امام العين كل القاصدينا
وكم سرنا بلا خوف جهارا ركبنا الخيل اوجئنا السفينا

وهل انسى تصدى بعض قوم　　لان أمسي بجيهم طعينا
تخلفت العيال وسرت ليلا　　ولم احمل حول الظاعنينا
فكنت الغوث ياجداه دوما　　وقعنا في المهالك او قفينا
واني الآن في خطب عظيم　　ارى في طيه داء دفينا
اتانا مخبر عن قوم سوء　　ارادوا وصفنا للحاكمينا
وخاف الضر احبابي جميعاً　　وقالوا بالوشاية قد رمينا
فعجل بالرحيل بلا توان　　ولا تخبر صديقا او خدينا
فادرك يا ابي نجلاً دهاه　　من الاهوال مايوهي البدينا
فما خفت المنون ولا الاعادي　　نعم خفت انشراح الشامتينا
فسرت الليل يصحبنى ثبات　　لخل نحو منزله دعينا
ورافقني خليل كان قبلا　　يوافي حين كنا ظاهرينا
وأدركنا القطار بغير خوف　　وكنا بالثياب منكرينا
والقى الله ستر الحفظ فضلا　　فلم ترنا عيون المبلسينا
وكان الخل منتظرا قدومي　　بخيل أوصلتنا سالمينا
ونجى الله بعد اليأس عبداً　　يرى الرحمن خير المنقذينا

ومن كانت هذه عقيدته في الشدة وهذا صبره في الخطوب التي كان يجهل عاقبتها لا تؤثر فيه اوهام المرجفين

بعد سكناه دار الامن بأمر وعفو الحضرة الخديويه ايدها الله تعالى وادام علينا سوابغ نعمها

الى هنا ما وقفنا عليه من كلام النديم وسنلحق بالطبعة التالية ما نجده من كلامه البليغ العظيم الفائدة بعناية الله تعالى ونسأله حسن الختام



## مؤلفات ابن منتصر

عدد (الذي طبع)

١ كتاب مقالات النديم جمعه من كلام العلامة فقيد الحريه المرحوم عبد الله نديم

١ رواية الحب الوجداني . وهى من أفكه الروايات الادبية الغرامية لما حوته من غرابة الموضوع وحسن الترتيب وتباع في كافة محلات الكتب بالقطر المصري

---

### تحت الطبع

١ التعاريف النحوية . كتاب جمع القواعد النحوية بأسهل عبارة وله مقدمة اذا قرأها المبتدي امكنه ان يتعلم النحو من غير ان يحتاج الى معلم لانها تقوم مقام المعلم

١ سر التكوين والعمران كتاب من أنفس الكتب العمرانية يبحث عن اسرار تكوين الامم والعوائل ... والـ... فليه وهو من صدى أفكار ابن منتصر

١ منتخبات ابن منتصر كتاب في الآداب العربية وهو من اكبر الكتب الأدبيه